الإقناعُ والإمتاعُ

في رسائلِ الجاحظ تـ (٢٥٥)هـ

"الصداقةُ" في رسالةِ "المعاشِ والمعادِ" أنموذجاً

إعداد

د / نوره محمد مرسي عبيد

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

جامعة الأزهر

ملخص البحث

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على صفيه ونبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

تقوم فكرة البحث المعنون بـ: **الإقناعُ والإمتاعُ في رسائلِ الجاحظ تـ (٢٥٥)هـ "الصداقةُ" في رسالةِ "المعاشِ والمعادِ" أنموذجاً**.

على دراسة رسالة "الصداقةُ" دراسة بلاغية، وبيان الأساليب البلاغية التي يغلب عليها طابع الإقناع والإمتاع فيها.

وجاءت هذه الدراسة في: مقدمة وتمهيد، ومبحثين:

المبحث الأول: تحليل رسالة " الصداقة " تحليلًا بلاغيًا ويتضمن ثلاث أفكار:

الأولى: الدعوة إلى الاستئثار بالصديق الصدوق.

والثانية: الدعوة إلى الاستكثار من الأصدقاء.

والثالثة: توجيه الجاحظ إلى اختيار أصدقاء تتوافر فيهم صفات معينة.

والمبحث الثاني: بعنوان سمات وخصائص بلاغة الجاحظ في رسالة "الصداقة". والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي فقُسم البحث إلى مقاصد وأغراض ثم تحليلها تحليلًا بلاغيًا لبيان قيمة الأساليب البلاغية في الإقناع والإمتاع بالفكر في الرسالة موضوع البحث والتي كان من أهم نتائجها: اتسام النص بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وصحة التراكيب، نجاح الجاحظ بألوانه البلاغية (بيان ومعان وبديع) في أن يطبع في نفس القارئ أهمية الصداقة والأصدقاء ، ويلفت الأذهان إلى دورهم المؤثر ماديًا ومعنويًا مع الاستطراد في عرض الفكر لتجديد نشاط القارئ.

Research Summary

Thank God as he should for the majesty of his face and the great authority, and peace and prayer supplication on his class, his prophet, and all his god and companions.

And yet.

The idea of research entitled "Persuasion and enjoyment" in the messages of the protégé (٢٥٥)

"Friendship" in the message "pension and return" is a model.

The message of "friendship" should be studied rhetorically, and the rhetorical methods that are most lying and enjoying.

This study came in: introduction and preface, and two first two: analysis of the message "friendship" a rhetorical analysis and includes three ideas: the first: the call to the exclusiveness of a friend. The third is to direct the prognosis to choose friends of certain qualities.

The second theme is entitled The Characteristics and Characteristics of The Eloquence of the Protruding in the Message of Friendship. The approach adopted in this study is the descriptive analytical approach, dividing the research into purposes and purposes and then a rhetorical analysis to show the value of rhetorical methods in persuasion and enjoying the thought of the letter in question, the most important of which was: the text is characterized by the ease of words, clarity of meanings and the validity of compositions, the success of the provocograph in its rhetorical colors (statement, meaning and exquisite) in that the same reader prints the importance of friendship and friends and draws attention to their influential role materially and morally with the importance of the presentation of the thought to renew the thought of the reader.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه من حيَّرت العقول بلاغته، وأعجزت العرب فصاحته، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

يُعد العصر العباسي من العصور الذهبية فكرًا وثقافةً، وكان لذلك الأثر الأكبر ليس في تنمية التراث العربي فحسب بل وألهم الحضارة الغربية أيضًا؛ لما اتسم به من كثرة الأدباء والشعراء والمؤلفين، وكثرة النتاج "شعرًا، ونثرًا".

وإذا عُرف العصر العباسي بالعصر الذهبي فإن ذهبيته تلك قد رُصِّعت بولادة رجل استطاع أن يُشكل قفزةً واسعةً في الأدب واللغة، والاجتماع، والتأليف هو "الجاحظ" والتي ما زالت مصنفاته – التي عبَّرت عن خلاصة فكره – مثار اهتمام الباحثين والدارسين فتناولوها أدبيًا وفكريًا، كما أَمِلوا بكشف الجوانب الحضارية للقرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) من خلالها إذ يُعد هذان العصران أزهى عصور الحضارة الإسلامية(١).

وهذه الملكة البلاغية والقدرات المعرفية المتنوعة التي وهبها الله– سبحانه وتعالى– هذا العالم الجليل الذي يندر وجود مماثلًا له في تنوع فكره وثقافته جعلت منه موسوعيًا، ووظفته لأن يكون كاتبًا شبه رسمي في الحكومة العباسية حتى أصبح من أهم وسائل الدعاية في هذا العصر وأصبحت مصنفاته ورسائله من أهم وسائل إبراز الهوية الثقافية والسياسية، والعربية والإسلامية– رغم أصله

(١) ينظر مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ١/٥– ط٢–١٤١٩– دار ومكتبة الهلال– بيروت– لبنان.

غير العربي– ولا شك أن تصفح الكتب القديمة يطلعنا على عقول أصحابها ومبادئهم وتوجهاتهم. وبتتبع تعريفات البلاغة العربية حتى تعريف الخطيب لها يُلاحظ فيها (اهتمام البلاغيين بالمتلقي، وحرصهم على التأثير فيه من خلال صياغة ما يناسب حاله من التراكيب والأساليب، على الرغم من عائق التفاوت بين المتلقين، وهى مشكلة أشار إليها الجاحظ وأناط التغلب عليه باقتدار المتكلم وتمكنه من ناصية البيان، وذلك قوله: "فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تُفهم العامةِ معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي تلطف على الدهماء، ولا تجفوا على الأكفاء فأنت البليغ التام" (١) .

ورسائل الجاحظ السياسية جامعة لعلم كثير عن المعاش والمعاد وعِلل الأشياء، وفيها وصف للطبائع التي ركب عليها الخلق، وأسباب شهواتهم، وكيف تُستمال قلوبهم، وكيف يُغيرون الطبائع المذمومة إلى الشيم الحميدة.

وكان هذا من أهم أسباب ميلي إلى هذه الدراسة وأيضًا إعجابي بتلك القواعد التي قررها الكتاب، ومنها الوحدة بين آداب الدين والدنيا والتي عللها الجاحظ بقوله: "الآداب آلات تصلح لأن تُستعمل في الدين كما تستعمل في الدنيا" (٢). ورسالة "المعاش والمعاد" هي إحدى رسائل عشر في كتاب الرسائل السياسية للجاحظ. تناولت رسالة المعاش والمعاد سبعة عشر موضوعًا وقع موضوع "الصداقة" في الموضوع الرابع عشر منها.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٣٦– ت/عبد السلام هارون مكتبة الخانجى، والبلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع د/ مسعود بو دوخة صـ١٣١– دار الكتب العلمية.

(٢) كتاب الرسائل السياسية لعمرو بن بحر بن محبوب بن فزازة الليثي البصري الكنائي أبي عثمان الشهير بالجاحظ– صـ٧٠– نشر مكتبة الهلال – بيروت.

وتركيزًا على أهمية الصداقة ودورها المؤثر وانبعاثًا من قولهﷺ: "المرء على دين خليله" (١) جعلتُ محور هذه الدراسة موضوع "الصداقة".

وهو من موضوعات رسالة المعاد والمعاش التي وجهها الجاحظ إلى أحد أولي الأمر، وهو قاضي القضاة محمد بن أحمد بن أبي دؤاد الذي يشرف على الولاة والقضاة في الدولة العباسية.

ومنهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي وقسمت الرسالة موضوع البحث إلى مقاصد وأغراض ثم تحليلها بلاغيًا.

والدراسات السابقة حول هذا الموضوع كثيرة منها:

بحث بعنوان نحو منهج بلاغي لتحليل النص النثري العربي القديم قراءة في كتاب الدكتور/ محمد مشبال "خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية" لعبد الواحد التهامي –العدد الرابع والثمانين– عام ألفان وخمسة عشر ميلادية– ألف وأربعمائة وست وثلاثون هجرية والذى قدم فيه د/محمد مشبال تحليلًا بلاغيًا لرسائل الجاحظ التى تُخاطب الأخلاق والهوية مرتكزًا على إبراز مبادئ الرسائل ومكوناتها كتحديد الإطار النوعى والحواري واستجلاء صور الحوار وقرر الباحث أن مشبال أسهم في تطوير التحليل البلاغي والنظرية البلاغية كما أسهم في إغناء مناهج تحليل الخطاب بشكل عام، منطلقًا من مبدأ يهتم بتحليل بلاغة النصوص بدل تحليل البلاغة ذاتها،

(١)الحديث في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبدالجبار، باب الصفات المشروطة في اتخاذ الصاحب، جزء١٢ صـ٧، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ت/شاكر باب ابتداء مسند أبي هريرة جزء٨ صـ١٣٠، دار الحديث القاهرة ط١ ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ومسند أبي داوود الطياليسي، ت/ محمد بن عبدالمحسن التركي، باب موسى بن وردان جزء٤ صـ٢٩٩، نشر دار هجر مصر، ط١ ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

كما قرر فيه أن (الجاحظ) سخَّر البلاغة في التأديب وتدبير حياة الناس، كما أشار إلى التحام البلاغة بالأخلاق.

ومقال بعنوان حجاجية الأسلوب في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ للأستاذة/ شيماء أبجاو تضمنت الرسالة هجاء أحمد بن عبد الوهاب، ولكنه ليس هجاءً أدبيًا إنما ممزوجًا بسخرية، وهدفها فيها حجاجي، وأُستخدمت فيها آليات الحجاج بكثرة لدفع القارئ إلى استنتاج نتيجة تغدو بديهية في نظره، ومن هذه الآليات" السخرية وتنويع الخطابات التي منها الخطاب الفلسفي، ثم الخطاب الديني ثم الخطاب الأيديولوجي والأدبي.

وبحث آخر بعنوان" المستوى التركيبي في رسائل الجاحظ" لعلي عبد الحسين جبير إشراف الأستاذ الدكتور سرحان جفات سلمان–جامعة القادسية– كلية التربية– المجلد السابع العدد الثانى سنة أربعة عشر وألفان وهي تهدف إلى دراسة ونقد النصوص الشعرية التي تدور حول معجم "الحيوان" في نسجه الشعرى.

ودراسة أدبية بعنوان (بلاغة التصوير في نثر الجاحظ صورة المرأة في رسالة القيان نموذجًا) لفهد أولاد الهاني باحث مغربي مجلة فكر الثقافية الأدبية بالمملكة العربية السعودية العدد اثنا عشر عام خمسة عشر وألفان.

والتكرار الإقناعي في رسائل الجاحظ دراسة تداولية لشفاء بنت أحمد بن محمد المحسن– مجلة كلية العلوم والآداب الإنسانية جامعة قناة السويس المجلد الثالث والعشرون، ركَّزت فيه الباحثة على ظاهرة التكرار(الشكلي والمضمونى) كآلية من آليات الإقناع اللغوية.

وبحث آخر بعنوان (الخطاب الوصفى في نثر الجاحظ) لهيفاء محمد عبدالله–العدد الاول–المجلد السادس والعشرون كلية الآداب جامعة الجاحظ

محمد بن سعود – الرياض عام أربعة عشر وألفان ميلادية – خمسن وثلاثون وأربعمائة وألف هجرية.

بيد أنه لم أعثر على دراسة لرسالة (الصداقة) موضوع البحث وقد استفدت من الدراسات السابقة في التعرف على مفهوم "الإقناع والإمتاع" وآليات كلٍ منهما والفنون البلاغية التي يغلب عليها طابع البرهان والحجة والإقناع والإمتاع.

جاءت هذه الدراسة في:

مقدمة وفيها بيان عن أهمية البحث في مصنفات الجاحظ، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث والدراسات السابقة فيه.

وتمهيد: وفيه:

أ) تعريف (الإقناع والإمتاع) وبيان ارتباطهما بالبلاغة والإشارة إلى بعض الفنون البلاغية التى يغلب عليها طابع الإقناع والإمتاع.

ب) نبذة عن الجاحظ " مولده، ونشأته، ومؤلفاته، ووفاته".

ج) عرض لرسالة "الصداقة" بنصها كما وردت في كتاب الجاحظ" الرسائل السياسية".

د) شرح موجز لرسالة "الصداقة".

المبحث الأول: تحليل الرسالة تحليلًا بلاغيًا ويتضمن ثلاث أفكار:

أولًا: الدعوة إلى الاستئثار بالصديق الصدوق.

ثانياً: الدعوة إلى الاستكثار من الأصدقاء.

ثالثاً: توجيه الجاحظ إلى اختيار أصدقاء تتوافر فيهم صفات معينة.

المبحث الثاني: سمات وخصائص بلاغة الجاحظ في رسالته.

خاتمة وفيها أهم نتائج الدراسة.

ذكر لأهم مصادر البحث ومراجعه.

تمهيد

الإقناع والإمتاع: تعريفهما، وارتباطهما بالبلاغة العربية، وأهم طرقهما فيها

أولاً: تعريف الإقناع والإمتاع لغةً واصطلاحاً:-

الإقناع لغةً:

يدور معنى الإقناع في المعاجم اللغوية حول الرضى والقبول والاطمئنان. جاء في اللسان في معنى الإقناع " قنع بنفسه قنعًا وقنوعًا: رضي .... وقَنَعَ بالفتح يقنع قنوعًا: "ذل للسؤال"(١) بينما عرفه ابن فارس بأنه: "الإقبال بالوجه على الشيء" (٢) .

الإقناع اصطلاحاً:

ورد له عدة تعريفات حديثة، أما في العصور القديمة فقد أشار إليه العلماء وإن لم يضعوا له هذا المصطلح، يقول الجاحظ: "إذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، وكان منزهًا عن الاختلال، مصونًا من التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة"(٣) .

ونجده أيضًا في تعريف الإمام الرماني للبلاغة حيث يقول: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" (٤)، فالإشارة إلى إعمال المعاني في القلوب دلالة على كمال الإقناع بها وشدة تأثيرها.

---

(١) لسان العرب مادة(ق ن ع).

(٢) معجم مقايس اللغة لابن فارس مادة (ق ن ع)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ جزء١/٨٣ .

(٤) النكت في إعجاز القرآن الكريم ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني صـ٧٦ ت/محمد خلف الله – د/ محمد زغلول سلامة ط٣ ١٩٧٦ نشر دار المعارف .

ومن تعريفاته في العصر الحديث(عملية إيصال الأفكار والاتجاهات والقيم والمعلومات، إما إيحاء أو تصريحًا عبر مراحل معنية، بوجود شروط موضوعية وأخرى ذاتية مساعدة، وهذا عن طريق عملية الاتصال" [١] وهو أيضًا "الجواب الذي يوجب على السائل القبول"[٢] .

ومن استعراض بعض التعريفات لمصطلح الإقناع قديمًا وحديثًا، نجد أن التعريفات الحديثة قد استقاها أصحابها من كلام القدامى أمثال الجاحظ والرماني.

الإمتاع لغةً:

اسم من متَّع وأصله النفع يقال: "امتعتُ بأهلي ومالي وغير ذلك، والمتاع: كل ما أُنتفع به" [٣] .

أما في الاصطلاح فلم أقف له على مفهوم في كتب البلاغة. وأما وسائله فمتعددة أهمها التخييل والصور الخيالية التي لا تطابق الواقع فالخيال المصاحب للصور البيانية وسيلة للإمتاع، وكذلك الزخرفة اللفظية بفنون البديع تحمل المتلقي إلى العجب والطرب ومواصلة الاستماع والإنصات، وتهيئته نفسيًا لقبول الفكرة التي يحتوي عليها النص من وسائل الإمتاع أيضًا.

والملاحظ أن الإمتاع ليس له قواعد ثابتة كالإقناع وإنما هو تذوق ذاتي يشعر به المنشئ عندما يستطيع إفهام المتلقي وإقناعه بفحوى خطابه من خلال

---

(١)الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام– مقاربة تداولية – رسالة ماجستير إعداد بو صلاح فايزة إشراف د/بن عيسى عبد الحليم ،ا.د عزوز أحمد ص١٥، ٢٠٠٩م–٢٠١٠م.

(٢) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي لناصر دخيل فالح السعيدي، رسالة دكتوراه إشراف د/ محمد إبراهيم شادي صـ٢١٣ – جامعة أم القرى.

(٣) المخصص لابن سيده، دار إحياء التراث ، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

الأساليب البلاغية البديعية والبيانية وبعض وجوه المعاني، ويشعر به المتلقي أيضًا عندما انتفت عنه عناصر الملل أثناء تلقي الخطاب مع الفهم والإدراك للقيمة المرادة المستهدفة بالنص.

ارتباط البلاغة بالإقناع والإمتاع:

ترتبط البلاغة بالإقناع ارتباطًا وثيقًا حيث" يدور مفهوم البلاغة حول البيان والإيضاح والتوصيل والإقناع وهذه بلاغة نسبية، فليس هناك بلاغة مطلقة تصلح لكل زمان ومكان، فالبلاغة بلاغات، ولكل مقامٍ مقال؛ والمقام ليس شيئًا خارجيًا؛ بل هو عنصر ضروري في تشكيل الخطاب وإنجاحه" [(١)]ونجاحه يكون بالتأثير في المتلقي والتأثير فيه هو "الإقناع".

وإذا نظرنا إلى تعريف البلاغة قبل الإمام (عبد القاهر) وجدناه قائمًا على إبراز الغاية من البلاغة، وهي: توصيل الكلام إلى قلب المخاطب والتأثير فيه، أما بعد الإمام فأصبح مفهومها مصبوغًا بصبغةٍ علمية ركزت على خصائص هذا الكلام الذي يُقنع ويؤثر في الآخرين ومعنيًا بخواص التراكيب، والمقام الذي يؤدى فيه، وهو ما عُرف بـ ."مقتضى الحال" وأصبح مطابقة هذا المقتضى تشكل الأساس الذي تقوم عليه البلاغة بأكملها.

ونظرية النظم عند الإمام عبد القاهر والتي قامت على مراعاة أحوال الكلمات وأحوال انضمامها إلى بعضها وأحوال المخاطب[(٢)]، تُعدُ نموذجًا بلاغيًا للتواصل الفعال بين المنشئ والمُتلقي.

---

(١) الإقناع الأدبي والبلاغي والإشهاري لمحمد البوزيدي، مقالة.

(٢) ينظر: تطور التفكير اللغوي (من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل) لعبد السلام عشير صـ٧٧، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

الفنون البلاغية التي يغلب عليها طابع الإقناع والإمتاع:

الألوان البلاغية التي يغلب عليها طابع البرهان والحجة والإقناع كثيرة منها [١] :

المذهب الكلامي وهو: "أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام" [٢] وفيه يستدل البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى الخصم بحجة على طريق أهل الكلام، أي يصوغ كلامه في صورة أقيسة منطقية تستلزم فيها المقدمات – إذا سلمت– النتائج المطلوبة وهذا اللون البلاغي شأنه شأن ألوان البديع الأخرى يكون مقبولًا ما لم يكن متكلفًا.

ومنها أيضاً حسن التعليل (وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي)[٣] وهو وإن كان على جهة الاستطراف، لكن القصد هو تحقيقه وتقريره في نفس السامع مع إدخال السرور عليه بهذه العلة التي يسوقها المنشئ؛ لذا فحسن التعليل مبني على الادعاء والإصرار، وهما بدورهما يحملان على التأثير والإقناع.

ومنها تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس، وهو من الألوان البديعية التي لها تأثير فعال في نفس المخاطب؛ لما لهما من التأكيد والمفاجأة والمباغتة.

ومنها الطباق والمقابلة: يعد الطباق والمقابلة من المحسنات المعنوية التي تتقابل فيها الألفاظ، والتقابل اللفظي فيها يكشف عن تقابل عميق في المعاني، له دوره في تأكيد المعنى المراد وتثبيته وإيضاحه فضلًا عما يضفيه من موسيقى تنجذب إليها الأذهان وتميل إليها القلوب، يقول

---

(١) ينظر: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع د/ مسعود أبو دوخة، صـ١٣.

(٢) الإيضاح ضمن البغية – عبد المتعال الصعيدى٤/٤٣مكتبة الآداب١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٤.

الجاحظ: " وأما التطبيق فأمره أبين وكونه معنويًا أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضده، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال" (١).

ومنها الجناس والسجع؛ فالموسيقى التي تحدث بسبب تماثل الكلمات في الجناس تخدع الفكر وتثيره وتهز النفس وتشوقها؛ لأن ظاهر الكلام فيه أنه مكرر ولا يجني السامع منه غير التطويل ثم يفاجئ بالمعنى الجديد والمغاير لما سبقه (٢) ، وتأثير النغمات في السجع غير خاف إذا استدعاه المعنى وكان غير متكلف.

ومنها التضمين والاقتباس: يكون التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر المتكلم بذلك، والاقتباس يكون من الشعر والنثر وما من شك أن الاقتباس والتضمين يكسبان الكلام قوةً وبلاغة ويجعلانه محل قبول لدى السامع بسبب قدسيته أو تاريخيته.

ومنها التكرار: التكرار من الوسائل الإقناعية التي لها قيمة فنية تكشف عن وظيفته التعبيرية والنفسية ،فعناية المنشئ جعلته يتبع كل الوسائل الكفيلة بتوصيله إلى المتلقين ومن أسرع هذه الوسائل (التكرار) (٣) وقد ورد التكرار في القرآن الكريم والحديث الشريف وأيضًا في الشعر الجاهلي، وغير ذلك من الكلام المنثور الراقي. ومقامات التكرار التي منها التبليغ والإنذار، والتعليم والتلقين، والدعوة إلى التفكر والاعتبار، والذب عن

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجانى ص٢٠تعليق محمود محمد شاكر مطبعة المدني طـ١ –١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

(٢) ينظر: المرجع السابق بتصرف من صـ٧ الى ص١٧.

(٣) ينظر: تعريف ابن فارس للتكرار في الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب ١٥٨/١– نشر محمد على بيضون ط١–١٤١٨هـ–١٧٩٧م.

الحرمات، والدفاع عن الحقوق، كل هذه المقامات تكشف عن دوره المؤثر في النفوس والعقول.

ومنها المثل: يدخل تحت المثل التشبيه بأنواعه والاستعارة بأنواعها فالاستعارة هى" ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجرى فيما تعيه القلوب" (١)، وهذا التعليل من الجاحظ يبدو فيه التركيز على الإقناع والبرهان الذى يهدف إلى كسب قبول المستمع لمحتوى ما يلقى إليه (٢).

ومن وسائل الإقناع في إثبات المعانى (**الكناية**) يقول الجاحظ عن التأكيد المصاحب للكناية: "أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم –إذا رجع إلى نفسه– أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيحائها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ هكذا ساذجًا غفًلا (٣).

ومنها أيضاً بعض وجوه علم المعاني مثل القصر، والتقديم والتأخير، والأساليب الإنشائية طلبية وغير طلبية مثل القسم والاستفهام والنهي والأمر.

حيث يجد المنشئ الحجة الكاملة والتأكيد البالغ الذي يقنع المخاطب ويؤثر في موقفه.

ومنها جمال العبارة وبلاغة الأسلوب: لأن التأثير والإقناع لا يقومان على مستوى العقل فقط؛ وإنما تتم أيضًا على مستوى القلب والشعور وعنصر

---

(١) أسرار البلاغة ص٢٠.

(٢) ينظر: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع ص١٣٦.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني تعليق محمود محمد شاكر– مطبعة المدنى صـ٧٢ ط٣–١٤١٣هـ /١٩٩٢ م.

الأسلوب يحتل الصدارة في البلاغة العربية

وبإجمال نستطيع القول أن جُلَ الصور البيانية والمحسنات البديعية وبعض وجوه علم المعاني تمارس التأثيرية والإقناع إذا جاءت غير متكلفة.

ب - نبذة عن الجاحظ:

اسمه: هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب بن فزازة، الليثي، البصري، الكنائي، المعروف بالجاحظ [١] .

ولد بالبصرة عام (١٤٥)هـ وقيل عام(١٤٨)هـ وقيل (١٥٠هـ)- (٧٦٢م)، وكانت البصرة قبلة الفقهاء والأدباء.

وكان الجاحظ شديد التعلق بها، قال عنها:" إنَّ العراقَ عينُ الدنيا، والبصرةَ عينُ العراق [٢]، وسماها اليعقوبي مدينة الدنيا" [٣] .

نشأته وحياته:

نشأ بالبصرة فقيرًا، وعُرف بخفة الدم، وميله إلى الهزل والفكاهة، وظهر ذلك في كتاباته على اختلاف مواضيعها.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢٧/١..

*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ٤٧٠/٣- دار صادر – بيروت.

*ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي ٢٤٧/٣ ت/ محمد علي البيجاوي طـ١- ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م- دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

(٢) ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي صـ١٢٧ – دار المعارف- القاهرة.

(٣) ينظر البلدان، لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب صـ١٥٩- طـ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

طلب العلم في سن مبكر، فقرأ القرآن الكريم ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، إلا أن فقره ويتمه حالا دون تفرغه لطلب العلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار وبالليل يقصد دكاكين الوراقين فيقرأ منها ما يستطيع قراءته(١) .

شيوخه:

لمَّا كانت العراق قبلة العلماء والأدباء في أيام الجاحظ ساعده ذلك على الالتقاء بالعلماء ممن يسكنون بها أو يأتون إليها، وقبل العراق كان يأتي مربد البصرة، فيأخذ اللغة مشافهةً وتُنسب إليه الفرقة الجاحظية (٢).

لم يقتصر الجاحظ على الثقافة العربية بل اتصل بثقافات أخرى غير العربية منها الفارسية والهندية عن طريق قراءة أعمال مترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم، وتدوينه في كتابه المحاسن والأضداد باللغة الفارسية تدلل على إجادته للغة الفارسية، كما قرأ لابن المقفع.

كذلك تعرف على الثقافة اليونانية والكثير من الثقافات غيرها؛ فناقش حنين ابن إسحاق وسلمويه وكانا من علماء الطب.

كما تتلمذ في اللغة العربية لأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري.

---

(١) ينظر تاريخ بغداد وذيوله، لأبي بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ٢٠٨/١٢ دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا – طـ ١ – ١٤١٧هـ.

(٢) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ت/إحسان عباس ٢١٠١/٥ – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١– ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

*معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٧/٨ – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٥٧م– نشر مكتبة المتنبي.

ودرس النحو على الأخفش، وعلم الكلام على يد إبراهيم بن سيَّار بن هانئ النَّظام .

وأخذ الأخبار والأنساب والشعر من الهيثم بن عُدي، كما أخذ علوم الفقه وعلوم الحديث عن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، وأخذ عن يزيد بن هارون الفقه [١] .

مؤلفات الجاحظ:

كان الجاحظ من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جدًا، قيل لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته [٢] وتنوعت مؤلفاته في علم الكلام، والأدب، والسياسة، والتاريخ، والأخلاق، والنبات، والحيوان، والصناعة، والنساء، وغيرها، وأحصى ياقوت الحموى آثار الجاحظ قائلًا: (هذا فهرست كتب الجاحظ [٣]ويشير ابن حجر صاحب لسان الميزان إلى إحصاء ابن النديم صاحب الفهرست آثار الجاحظ فيقول:(كتبه وهى مائة ونيف وسبعون) [٤] وبلغت آثاره المطبوعة سبعة وخمسين، وأشهرها.

المحاسن والأضداد، التربيع والتدوير، في الفلسفة الطبيعة. أخلاق الملوك، البرصان والعرجان والعميان والحولان، المختار في الرد على النصارى، فلسفة الجد والهزل، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، البخلاء، كتاب

---

(١) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي٥٢٦/١١ – ت/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – نشر مؤسسة الرسالة – طـ٣ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ومعجم الأدباء ٢١٠١/٥ .

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء، للذهبى ٥٢٦/١١ ومعجم المؤلفين ٧/٨.

(٣) راجع معجم الأدباء ٢١١٥/٥.

(٤) لسان الميزان، لابن حجر العسقلانى ٣٥٧/٤ ،ت/دائرة المعرفة النظامية، ط٢ ١٩٧١م –١٣٩٠هـ، وينظر الحيوان للجاحظ ٤/١ نشر دار الكتب العلمية.

التابع في أخلاق الملوك، رسائل الجاحظ (الأول، والثاني)، رأي الجاحظ في معاوية والأمويين، الحيوان، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف، مسامرة الصيف، الأمل والمأمول، البيان والتبيين، التبصرة بالتجارة، كتاب العثمانيين، تهذيب الأخلاق، الحنين إلى الأوطان، البغال، النبيء والمتنبئ، الطبائع، المعرفة، كتاب جوابات كتاب المعرفة، الرد على أصحاب الإلهام، كتاب نظم القرآن، كتاب مسائل القرآن، القول المفيد على الرسالة المسماة وسيلة العبيد في علم التوحيد.

ملامح شخصية الجاحظ :

مال الجاحظ منذ نعومة أظافره إلى القراءة، وحب العلم، ولازمه ذلك حتى نهاية عمره. وقد قيل: إنه كان لا يكتفى بالكتاب أو الكتابين في يوم واحد، بل كان يبيت في دكاكين الورَّاقين يطالع ما فيها من كتب؛ ليشبع نهمه. ومَنْ هذا شأنه لابد أن تتكون عنده معارف طائلة، وثقافة هائلة، والذي زاد من ثرائها حرصه على الاتصال بعلماء عصره في كل مكان في حلقات العلم المسجدية، وقد مكنه ذكاؤه الحاد من متابعة محاضرات العلماء في كل ما يخص اللغة العربية والشعر، والالتحاق بحلقات المعتزلة التي تهتم بمشكلات المسلمين، وبالوعي الإسلامي في تلك الآونة حتى أصبح من أفضل كتَّاب عصره، منتهجًا في كتاباته منهجًا بحثيًا مضبوطًا دقيقًا استطاع فيه بحسه المرهف أن يكسوه حلة من الحسن والطرافة بتلك الصبغة الأدبية الجمالية مما جعل لها طابعًا خاصًا مميزًا هو سبب ميل القلوب إليها، ومتعة النفس عند مطالعتها، ونستطيع أن نقول: إن الجاحظ حالة من النبوغ واتقاد القريحة الخارق. وإن كنت في هذا الموضع أترجم إحساسي بالجاحظ من خلال ما طالعته وقرأته عنه، ولست عارضة ما سطره العلماء في كتبهم عن الجاحظ إلا أننى لم أجد من العبارات ما يوفي الجاحظ حقه، ويحيط بوصفه، ويترجم إحساسي مثل العبارات الرائعة

التي أوردها ياقوت الحموي يقول فيها: " أبو عثمان الجاحظ، خطيبُ المسلمين، وشيخُ المتكلِّمين، ومَدْرَهُ المتقدمين والمتأخِّرين. إن تكلَّم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النَّظَّام في الجدال، وإن جدَّ خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هَزَلَ زاد على مزبد، حبيب القلوب، ومزاج الأرَّواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياضٌ زاهرةٌ، ورسائله أفنانٌ مثمرةٌ، ما نازعه منازعٌ إلا رشاه أنفاً، ولا تعرَّض له منقوصٌ إلا قدَّم له التَّواضع استبقاءً. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصَّة تسلِّم له، والعامَّة تحبُّه. جَمَعَ بَيْنَ اللسان والقلم، وبَيْنَ الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلَّته، ووطئ الرِّجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه " (١) .

وفاته:

التقط الجاحظ أنفاسه الأخيرة بين صفحات العلم الذي عاش لأجله ومات بسببه، مخلفًا بعده كتبًا، ورسائلًا، ومقالات، وأفكار، خالدة لا تموت. حقًا هو عبقري البيان، شهيد الكتب. فجزاه الله عن كل من انتفع بعلمه خير الجزاء.

ولد الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، وتوفي في خلافة المهتدي بالله، فعاصر بذلك اثنى عشر خليفة عباسي، أصيب بالفلج في أواخر أيامه، ولكن لم يكن هذا سبب وفاته بل كان سبب وفاته العلم حيث سقطت مجلدات العلم عليه، حتى قيل عنه: أنه رائد النثر وإمام الفصاحة الذى قتلته كتبه، وتوفي عام ٨٦٨م– ٢٥٠هـ وقيل ٢٥٥هـ وعمره ست وتسعين سنة (٢).

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي جزء ٥ / صـ ٢١١٣ .

(٢) ينظر معجم الأدباء ٢١١٦/٥ وسير أعلام النبلاء ٤١٣/٩.

نص رسالة الصداقة:

"ولعمري ما يكاد ذلك يجيء إلّا في أقلّ الأمور، [وما كثر مجيء السّلامات إلّا لمن أتى الأمور] من وجوهها وإنما الأشياء بعوامّها. فلا تكونن لشيء ممّا في يدك أشدّ ضنّا، ولا عليه أشدّ حدبا، منك بالأخ الذي قد بلوته في السّرّاء والضّرّاء، [فعرفت مذاهبه] وخبرت شيمه، وصحّ لك غيبه، وسلمت لك ناحيته؛ فإنما هو شقيق روحك وباب الرّوح إلى حياتك، ومستمدّ رأيك وتوأم عقلك. ولست منتفعا بعيش مع الوحدة. ولا بدّ من المؤانسة، وكثرة الاستبدال تهجم بصاحبه على المكروه. فإذا صفا لك أخ فكن به أشد ضنّا منك بنفائس أموالك، ثمّ لا يزهّدنّك فيه أن ترى منه خلقا أو خلقين تكرههما؛ فإنّ نفسك التي هي أخصّ النفوس بك لا تعطيك المقادة في كلّ ما تريد، فكيف بنفس غيرك! وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره، وقد قالت الحكماء: «من لك بأخيك كلّه» ، و «أيّ الرّجال المهذّب» .

ثم لا يمنعك ذلك من الاستكثار من الأصدقاء فإنهم جند معدّون [لك] ينشرون محاسنك، ويحاجّون عنك. ولا يحملنّك استطراف صديق ثان على ملالة للصّديق الأول؛ فإن ذلك سبيل أهل الجهالة، مع ما فيها من الدناءة وسوء التدبير، وزهد الأصدقاء جميعا في إخائك. والله يوفقك.

وستجد في الناس من قد جرّبته الرّجال قبلك، ومحضه اختبارهم لك.

فمن كان معروفا بالوفاء في أوقات الشّدّة وحالات الضرورة، فنافس فيه واسبق إليه؛ فإنّ اعتقاده أنفس العقد. ومن بلاه غيرك فكشف عن كفر النّعمة والغدر، لا يفي لأحد، وإنما يميل مع الرّجحان: يذلّ عند الحاجة ويشمخ مع الاستغناء. فاحذر ذلك [١] .

(١)الرسائل السياسية للجاحظ صـ٨٤ ،٨٥ .

شرح موجز لرسالة الصداقة :

في بداية الرسالة ينص الكاتب على أنه من الواجب على المرء حسن الارتياد لموضع البغية، وأن يتبين أسباب الأمور، ويمهد لعواقبها، وإنه لربما اتفقت الأمور للإنسان الجاهل الذى لا يأتي الأمور من وجوهها، ولكن هذا في أمور قلائل، وإنما الكثير الغالب مجيء السلامة لمن أتى الأمور من وجوهها ثم قرر أن العبرة في الأمور الشائع فيها تمهيدًا للحديث عن الشائع في أخلاق الأخ أو الصديق، وأنه ما من شيء يستحق التمسك به أكثر من الأخ الذى أُختُبر في النعمة والرخاء؛ فثبتت براءته من العيوب والنقائص، وعُرفت شيمه ومذاهبه، وهو بهذا شقيق للروح ومدخل السرور في الحياة، ومنه يُستمد الرأي، ثم بيَّن ضرر الوحدة وأهمية المؤانسة ومخاطر كثرة استبدال الأصدقاء؛ ليخلص بأن وجود خُلق أو خُلقين في الصديق مكروهان، لا يضُر؛ لاستحالة وجود الرجل الكامل، وأن مثل هذه الحقيقة لا ينبغي أن تُنفر من كثرة الأصدقاء، وعلل ذلك بأنهم جندًا للإنسان، وأخيرًا يعقد مقارنة بين صنفين مجربين من الرجال أحدهما يجب المنافسة فيه، والآخر يجب الحذر منه.

* * * * * *

المبحث الأول

التحليل البلاغي لرسالة "الصداقة"

الفكرة الأولى: **الدعوة إلى الاستئثار بالصديق الصدوق**.

" **ولعمري ما يكاد ذلك يجيء إلّا في أقلّ الأمور** "

بدأ الجاحظ رسالة "الصداقة" بأسلوب من أساليب الإنشاء غير الطلبي، وهو القسم بـ "**لعمري**" والذي يعد من أقوى الأساليب في توكيد الأخبار الداخلة عليها، والعَمْرُ والعُمْر كلاهما واحد إلا أن المُستعمل في القَسَمْ هو" العَمْرُ" بالفتح وكأنهم آثروا المفتوح؛ لخفته، وكثرة دورانه على الألسنة، وخبره محذوف، تقديره لعمري قسمي أو ما أحلف به أو ما أقسم به[(١)] ، وجواب القسم (**ما يكاد ذلك يجيء إلّا في أقلّ الأمور**)، نفى أن يجيء ذلك إلا في أمور قلائل، والمشار إليه باسم الإشارة " ذلك" هو اتفاق الأمور لمن يعمل بالتفريط ولا يأخذ بالحزم، ولا يقدم الحذر وذلك مستفاد من قوله في الرسالة السابقة لرسالة الصداقة وهى رسالة (معرفة الأمور الغائبة) ونصها:" واعلم أن المقادير ربما جرت بخلاف ما تقدر الحكماء، فنال بها الجاهل في نفسه المختلط في تدبيره، ما لا ينال الحازم الأريب فلا يدعونك ما ترى من ذلك إلى التصنع والاتكال على مثل تلك الحال، فإن الحكماء قد أجمعت أن من أخذ بالحزم وقدم الحذر فجاءت المقادير بخلاف ما قدر، كان عندهم أحمد رأيًا، وأوجب عذرًا ممن عمل بالتفريط وإن اتفقت له الأمور على ما أراد" [(٢)] " **ولعمرى ما يكاد ذلك**

---

(١) ينظر مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي باب: العين، مادة (ع م ر) دار الحديث ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م والكشاف للزمخشري ٥٦٣/٢ ط١ ١٤١٥هـ–١٩٩٥م رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان.

(٢) الرسائل السياسية للجاحظ صـ ٨٢ ،٨٣.

يجيء إلا في أقل الأمور" مؤكدًا الشيخ بهذا المطلع أن اتفاق الأمور لمن يعمل بالتفريط لا يجيء إلا في أمور قلائل، ووسيلة التوكيد القسم وأسلوب القصر" بما و إلا" حيث قصر اتفاق الأمور للجاهل على أمور قلائل قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا، وقد نزل الجاحظ المخاطب منزلة من ينكر الخبر؛ فآثر التعبير عن معناه بطريقة النفي والاستثناء التي تستخدم حيث يجهل المخاطب الخبر أو ينكره أو لما نزل هذه المنزلة (١) .

قصدًا إلى التأكيد المصاحب لهذه الطريقة على أن حال المخاطب هي الداعية إلى التأكيد، ويمكن أن يكون التوكيد راجعًا إلى حالة المتكلم، فعمق إحساس الجاحظ بالمعنى مع سيطرة المعنى عليه وتأثره بمضمون الخبر وتعلق نفسه به هو الدافع إلى التوكيد، وقد أشار كثير من البلاغيين المحدثين إلى ذلك عندما صرحوا في كتبهم بأن دائرة التوكيد ليست قاصرة على حال المخاطب فحسب بل حال المتكلم وحال الكلام أيضًا لما يحتويه من أخبار مهمة يجب أن تصاغ بطريق أوكد من الأساليب البلاغية المفيدة للتوكيد (٢) حتى تنطبع انفعالات المنشئ في نفس المتلقي فيحسن تقديرها.

وتعريف المسند إليه باسم الإشارة الدال على البعد تعظيمًا له بتنزيل بُعد الدرجة وعلو المنزلة منزلة بُعد المسافة، وتقديمه على الفعل يجيء؛ لأنه المحور الذى يدور عليه الحديث، وهو المقصود وإذا كان المشار إليه هو اتفاق

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز ص٣٣٢ .

(٢) ينظر خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى صـ٩١ مكتبة وهبة – الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

*من أسرار البلاغة بالحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) في القرآن الكريم د/ هاشم محمد هاشم صـ٤٣ ط١ – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

*الحركة الأسلوبية د/ عبدالرازق فضل صـ١٦ –مطبعة التركي.

الأمور للجاهل الذى يعمل بالتفريط فإن إسناد المجيء إليه مجاز بتشبيهه بحى يصح وقوع الذهاب والمجيء منه وإثبات المجيء إليه تخييل استطعنا من خلاله رؤية المعنى اللطيف مجسمًا باديًا جليًا (١) عن طريق التجسيد المستفاد بالاستعارة المكنية.

ونلمح في العبارة استعارة أخرى ولكنها تبعية في الحرف "في" الدال على الظرفية في قوله: "**يجيء ذلك إلا في أقل الأمور**" بتشبيه الأمور بظروف حقيقية يصح دخول " في" عليها والجملة قد اشتملت على وسيلتين من وسائل التوكيد هي القسم والقصر، واستعارتين وإذا كان اتفاق الأمور للجاهل في أمور قليلة فإن الكثير الغالب مجيء السلامة لمن أتى الأمور من وجوهها.

وهنا قد وظّف الجاحظ أسلوب الإنشاء غير الطلبي وهو القسم بـ "**لعمري**" ثم الاستعارة في "**يجيء**" والتوكيد النابع من أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لإقناع المخاطب وتهيئته لقبول فكرته المطروحة مع إمتاع المخاطب بذلك التخييل النابع من الاستعارة المكنية.

يقول:" **وما كثر مجيء السّلامات إلّا لمن أتى الأمور من وجوهها** " المبنية على طريق القصر بـ "ما و إلا" فقصرت كثرة مجيء السلامات على من أتى الأمور من وجوهها قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا، ولفظة "**يكاد**" تدل على المقاربة من الفعل أو الدنو منه (٢) في الجملة الأولى "**وما يكاد ذلك يجيء**" والقرب من الفعل يدل على قلة حدوثه أو عدم حدوثه أصلًا،

---

(١) ينظر أسرار البلاغة صـ٤٣.

(٢) ينظر شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني أبو عبدالله جمال الدين ٣٨٩/١ ، ت/ عبدالرحمن السيد ، ود/محمد بدوي المختون نشر هجر للطباعة والتوزيع والإعلان.

وهذا يضاد كثرة المجيء في قوله: "**وما كثر مجيء**"، ففي اللفظتين طباق خفي[١] لأن المعنى في "يكاد يجيء" يقل، وهو مطابق لمعنى " ما كثر مجيء "؛ لأن معناها يكثر ولا شك أن الجمع بين الأضداد يعطي العبارات جمالًا أسلوبيًا بالإضافة إلى تأكيد المعنى وتقويته بسبب التقابل اللفظي في كلام واحد ومواجهة كل نقيض بنقيضه [٢] ووسيلة الإقناع هنا فن من فنون البديع وهو المقابلة التي أدت مع التأكيد إلى جذب انتباه السامع وميل قلبه إلى المعنى المؤدى بها. والجملة الثانية تقرر معنى الجملة الأولى لأن المعنى في الجملة الثانية **يكثر مجيء السلامات لمن أتى الأمور من وجوهها** والمراد بالجملة الأولى يقل اتفاق الأمور للجاهل لأنه لا يأتيها من وجوهها؛ ففيها تأكيد وتقرير.

والضمير في وجوهها[٣] يعود على الأمور، أي وجوه الأمور فإثبات الوجوه للأمور تخييل على تشبيه الأمور بحي له أعضاء، منها: الوجه الذي يُتوجه إليه إذا قُصد، والمراد أن السلامة في الأمور لا تتحقق إلا إذا نجح المرء في تحديد الجهة التي يجب أن يأتي الأمور منها، كما إذا قصدت إنسانًا أقبلت عليه وتوجهت إليه.

---

(١) ينظر في ذلك بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ / عبد المتعال الصعيدي ٦/٤، ١٤١٤هـ– ١٩٩٧م ، نشر مكتبة الآداب.

(٢) ينظر مباحث في وجوه تحسين الكلام، أ.د/ رفعت السوداني صـ٣٧ مطبعة الأمانة ط١–١٤١١هـ /١٩٩١م

*عناصر الإبداع الفني في نكبة دمشق، لأحمد شوقي د/ عبد الحافظ عبد المنصف صـ٦٢ مكتبة الآداب.

(٣)وَجْهُ كلَّ شيء: مسْتقْبَلُه ، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده ، وجهة الأمر :وجهه والجهة والوجهة جميعًا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده – لسان العرب مادة (و ج ه) .

وكأن الجاحظ قصد الدقة فى تحديد الجهة المثلى لتأتي الأمور حتى تتحقق السلامة، فكما أن لكل حي وجه يتميز به؛ فللأمر وجهًا يتميز به عن غيره من الأمور وتتحقق به سلامة القصد.

وهذا التخييل المصاحب للمجاز فيه إمتاع لنفس المخاطب أدى إلى نفي عناصر الملل عنه.

وإنما صدَّر الجاحظ رسالته بجملتين بنيتا على أسلوب القصر، الذي طريقه النفي والاستثناء والذي يفيد التضاد والتلاحم فأبرز الجمال فيها؛ "لأن الجمال يكمن بالاتفاق المتلائم بين الجمل المتغايرة، فالجمع في أسلوب القصر بين النفي والاستثناء يظهر عبقرية المبدع وقوة تأثيره على النفوس" (١) ولما كان العقل يقضي بأن الحكم على الأمور والأشياء والأشخاص إنما بالشائع المشهور فيها، أما وجودهم على حالة استثنائية فيجب ألا تكون سبيلًا للحكم بها، قال الإمام: " **وإنما الأشياء بعوامها** " بالعطف على الجملة السابقة للتوسط بين الكمالين لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظًا ومعنى وقد غاير الجاحظ في هذه الجملة الثالثة طريق القصر عن سابقتيها حيث استخدم فيه "إنما"؛ لكون مضمونها مما لا يُجهلُ عند الجميع ولا يستطيع المخاطب ولا القارئ دفعه أو إنكاره (٢)،والمقصور هو الحكم على الأشياء، والمقصور عليه كونه بعوامها قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا.

---

(١) ينظر تجليات الجمال في أسلوب القصر د/ عبدالرحيم محمد الهبيل، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية صـ ٩٧٨ – المجلد التاسع عشر، العدد الثاني يونيو ٢٠٠١م.

(٢) راجع دلائل الإعجاز صـ٣٣٠.

وإذا كان الأمر كذلك أي أن العبرة في الأمور بالسائد المشهور فيها" **فلا تكونن لشيء مما في يدك أشد ضنًا ولا عليه أشد حدبًا**" (١) ناهيًا المرء على سبيل النصح والإرشاد بألا يكون حريصًا كل الحرص على شيء أكثر من حرصه على "الأخ"، أي الصديق الذي عرفت مذاهبه وخبرت شيمه، فالنهي قد خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو النصح والإرشاد والمعنى: لا تكن أكثر بخلًا وتمسكًا بشيء أكثر من تمسكك بالأخ أو الصديق والملكية المعبر عنها بقوله: "**مما في يدك**" إنما تصدق على الأشياء الحسية التي يصح فيها أن تُملك أما في الصديق فعلى سبيل المجاز؛ لأن الصديق جوهر والبخل عرض.

وهناك مندوحة وراء استعمال لفظة " الضَّنُ " دون غيرها من الألفاظ الدالة على المعنى نفسه وهي أن الضَّنُ إنما يطلق على النفيس من الأشياء

والمعنى: لا يستحق شيء بأن تكون أكثر بخلًا به إلا الصديق؛ لمكانته منك وموقعه في قلبك والتعبير بما عند الإنسان بقوله: " **في يدك**" مجاز مرسل

علاقته الجزئية واليد جزء من الإنسان، والمقصود "حوزتك" وليس اليد الجارحة حقيقة ويمكن حمل العلاقة على الآلية؛ لأنه إذا كان المعنى المراد "حوزتك أو ملكك" فإن اليد هي وسيلة التملك وأداته، وبها يكون، والعلاقات تتعدد باحتمال السياق والمقام لها، وإذا كان المشهور في المجاز باليد علاقة السببية إلا أن المقام هنا ليس فيه إشارة للسببية (٢) وكلمة "**ضنًا**" أي بخلًا وتمسكًا تعد ترشيحًا للمجاز، وفي المجاز مبالغة في الدلالة على الاستئثار بالصديق ذات أثر في جعل المجاز رائعًا خلابًا مع جعله الجملة شديدة التأكيد

---

(١) الضَّنةُ والضَّنّ والمضَّنةُ: كل ذلك من الإمساك والبخل– لسان العرب مادة (ض ن ن).

(٢) راجع: أسرار البلاغة صـ٣٤٥، والتصوير البياني، لأبي موسى صـ٣٦٧،٣٦٦ طـ٤ مكتبة وهبه.

على المعنى المراد صارمة في أدائه، بما تحمل في تركيبها من التوكيد في "تكونن" وأفعل التفضيل في "**أشد**"، والتعبير بالمصدر في "**ضنًا**" التي تستخدم في نفائس الأشياء وتصدير الجملة بالنهي جعل لها مذاقًا خاصًا في التأكيد، ثم عطف عليها قوله: "**ولا عليه أشد حدبًا**"(١)؛ للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظًا ومعنىً، مع وجود مناسبة بينهما، وهي أن كلا من الجملتين منهي بها عن شيء واحد، والضمير في عليه يعود على الشيء المتقدم في الجملة السابقة لها والمعنى: **لا تكونن على شيء أشد حدبًا** بتقدير لا الناهية والفعل بدلالة الجملة السابقة، وعلى هذا التقدير يكون في جملة العطف إيجاز بالحذف. ثم وظف الأديب وجهًا من وجوه علم المعاني لتكون أداته في الإقناع وهو تقديم الجار والمجرور في "**عليه**" على أفعل التفضيل "**أشد حدبًا**" يفيد القصر حيث قصر شدة الحدب على الشيء المنفي قصر صفة على موصوف، وقد أراد الجاحظ أن يصور عمق إحساسه بالمعنى ويُبين الكيفية التي يجب أن يكون عليها المرء تجاه صديقه بصورة موجزة، لها تأثير ورونق خاص فصاغ معناه على طريق التقديم وساعده في ذلك ملكته يقول ابن القيم عن القصر بطريق التقديم وملكة العرب في التصرف به" فإنهم أقوى به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام وتلعبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم؛ لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه ثقة بصفاء أذهانهم، وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزًا وله في النفوس حسن موقع وعذوبة ومذاق" (٢) .

---

(١) الحَدَبَ: خروج الظهر، ودخول البطن والصدر، وحَدّبّ فلان على فلان يَحْدَبُ حَدِب وتحدَّب تعطَّف وحنا عليه، لسان العرب مادة (ح دَ ب).

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم صـ٨٢ – مكتبة المتنبي.

وقد تآزر أسلوب القصر في الجملة مع الاستعارة التبعية في "**حدبا**"، حيث شبه المتعلق بالشيء الملازم له، بالحَدِب، وهو من يكون في ظهره خروج ودخول في بطنه وصدره، وكأنه أراد أن يصور لنا الهيئة التي يجب أن يكون عليها المرء تجاه صديقه في صورة حسية مبصرة، فمن يحرص على شيء يجعله بين يديه وقلبه، مثلما تفعل الأم بطفلها، فهي تحاول دائمًا أن تشتمله بيديها وصدرها حتى لا يمسه سوء. بهذا اجتمع في هذه الجملة إقناع وإمتاع عن طريق النهي المجازي الداخل على الفعل المؤكد بـ "نون التوكيد" في "**فلا تكونن**" وتقديم الجار والمجرور على أفعل التفضيل في "**ولا عليه أشد حدبًا**" والاستعارة التبعية في "**حدبًا**" وإمتاع بالخيال المصاحب للاستعارة.

والخلاصة يقرر الجاحظ أنه ليس من الجدير بالإنسان أن يبخل بشيء ويضن به إلا الصديق الصدوق الذي أفصح عنه وأبان عن صفاته بقوله:[**منك بالأخ الذي قد بلوته في السَّراء فعرفت مذاهبه وخُبِّرت شيمه، وصح لك، وسلمت لك ناحيته]** معبرًا عن الصديق بالأخ إيحاءً بأن الصديق الذي يتسم بهذه الصفات إنما هو بمكانة الأخ الشقيق الذي يربطك به رباط الأخوة وصلة الرحم.

وعرفه باسم الموصول "الذي" لأن المخاطب أو القارئ لا يدري شيئا عن هذا الأخ الذي يتحدث عنه الجاحظ سوى أنه من شأنه أنك قد بلوته في السراء....إلخ أي: " لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة" [(١)] ، والمعنى: إذا تحققت من صديق بتجربته واختباره في السَّرَّاء وعرفت مذاهبه....إلخ؛ فضن به، واحدب عليه، ولا تهتم لشيء آخر غيره، ودخول "قد" على الفعل الماضي يفيد تحقق الاختبار للصديق والذي نجح به المرء من التعرف على مذاهب صديقه ومعتقداته وثبوت صحتها لدى المختبر، والتحقيق يحمل

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني صـ٢٤- دار الجيل- بيروت.

تأكيدا للمعنى تستقر به نفس المخاطب وتمنعه من الحيرة والتردد وتحمله على الإقناع مع وجود متعة جاءت من الانتقال به من المقدمات وهي اختيار الصديق والوقوف على مذاهبه ومعتقداته إلى النتائج الحتمية وهي وجوب الضن به، وعبر بالابتلاء دون غيره من الألفاظ الدالة وذلك لأن الابتلاء لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المُبتلى من الطاعة والمعصية (١) ثم قيده بـ "**السَّراء**" (٢) حتى يخرج مقابله، وهو الضراء، وهذا من الدقة بمكان، إذ لو حاولت أن تختبر إنسانًا وهو في ضراء لأظهر لك الجميل من الخلال والطاعة حتى يستميل قلبك، فتُحسن إليه، وتجزل له العطاء وبمعنى آخر يتصنع لك من الصفات والأفعال ما ليس من دأبه؛ استمالَة للقلوب واستدرارًا للعطاء، بينما ما يظهر لك من خلال وشيم للمرء وهو في رخاء ونعمة فهي دأبه، وما تخَّلق به إذ هو غني عنك مستغن بنفسه، لا تدفعه الحاجة لإظهار خلاف ما يبطن، ودخول "في" الدالة على الظرفية على "السراء" بمعنى النعمة والرخاء من قبيل المجاز إذ لا تصلح السراء أن تكون مظروفًا حقيقيًا فهو استعارة تبعية في الحرف "في"، شبه فيها التلبس بالنعمة بالظرفية الحقيقية بجامع التمكن في كل، ثم استعير معنى الظرفية لمعنى الملابسة، ثم سرى التشبيه والاستعارة من الكليات إلى الجزئيات؛ فاستعيرت "في" التي للظرفية للدلالة على الملابسة (٣) أو بتشبيه "السَّراء" المشتملة على الأخ بدار أو ما شابهها، ثم استعملت "في"

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢١٦/١– ت/ محمد إبراهيم سليم – نشر دار العلم والثقافة والتوزيع– القاهرة.

(٢) السَّراء: النعمة والرخاء، الضراء: نقيض السّراء ويعني الشدة ونقص المال والأنفس؛ مختار الصحاح مادة (س ر ر) ، ومادة (ض ر ر) .

(٣) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي صـ٤٨٩ – ت. د/ عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

التي من حقها أن تستعمل في الدار أو نحوها من المظروفات الحقيقية لتدخل على السَّرَّاء [١]. والفاء في قوله: "**فعرفت مذاهبه وخُبرت شيمه**" [٢] للترتيب وأسند المعرفة إلى المذاهب والخبر إلى الشيم؛ لأن المذاهب يكفي فيها أن تُعرف عن الإنسان، أما الشيم وهي الطبيعة والخُلق إنما تظهر بالعشرة والمعايشة، والتعبير بالخبر فيها يفيد معرفتك بالشيء على حقيقته بنفسك أو ما أتاك من غيرك ممن استخبرته؛ لأنك لست بالملازم له على الدوام حتى تُجرب كل شيمه في كل مقام وحال تمر به، والمعنى: بلوته فعرفت معتقداته التي يذهب إليها، وإنما خص المذاهب بالذكر؛ لأن أفعال العباد خيرًا أم شرًا إنما هي ترجمة لهذه المعتقدات وكلتا اللفظتين تفيد المعرفة والعلم مع وجود خصوصية في الخبر، وكأن إدراك الخبر يتطلب مزيدًا من الاجتهاد في التحري عن هذا الأخ "الصديق" فأرسلت تستخبر مَنْ جربه وعايشه، والذي أوحى بهذه المعاني هو لفظة "**خُبرت**" وبناؤها للمعلوم، ولما كانت معتقدات الإنسان وشيمه كثيرة ناسبها أن تجمع على صيغة الجمع ولكثرتها اكتفى في إدراكها بالعلم والمعرفة.

ثم عطف عليه قوله:"**وصحَّ لك**" والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، يعود على الأخ أو الصديق، والأصل فيه ذهاب المرض وهو غير مراد، فيجوز أن يكون مأخوذًا من قولهم: صحيح الأديم، بمعنى غير مقطوع أو البراءة فيه من

---

(١) ينظر الإيضاح صـ١٧٠.

(٢)المذْهَبُ: [المعتقد الذي يُذْهَبُ إليه] لسان العرب مادة (ذ ه ب). و [الشيم] الخلق والطبيعة، لسان العرب مادة (ش ي م) . الخبر :خُبرت بالأمر: أي علمته وخبرت الأمر أَخْبُرُه إذا عرفته على حقيقته والخَبرُ: ما أتاك من نبأ عمن تستخبرهم وأما العرفان فهو العلم، لسان العرب مادة (خ ب ر) مادة (ع ر ف).

كل عيب وريب [١] وعليه فالمعنى: اختبرته في مواطن الشدة فعلمت معتقداته وخبرت طبائعه، وثبت لك براءته من كل عيب وريب، ثم عطف عليه قوله: "وسلمت لك ناحيته " للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود مناسبة بينهما وهو الاتحاد في المسند إليه.

"وناحية" كل شيء جانبه [٢]وسلامته تعني: براءته من العيوب والنقص، وأسند السلامة إلى الناحية، والمراد سلامة صاحبها، ففي التعبير بها كناية عن موصوف، ويجوز حمله على المجاز المرسل بعلاقة الجزئية على أن الناحية جزء من المعنى المراد، وهو صاحب الناحية، والمعنى: ثبت لك براءة مَنْ بلوته من العيوب والنقائص بعد أن عرفت مذاهبه ومعتقداته وخبرت شيمه فإذا ثبت عندك كل ذلك فهو أي الأخ أو الصديق شقيق الرُّوح وباب الرَّوح إلى الحياة، يقول الإمام: "فإنما هو شقيق روحك وباب الروح إلى حياتك "مرتبًا على هذا التحري الشديد للأخ أو الصديق وثبوت صحته وسلامة ناحيته رتب على ذلك الحكم عليه بأنه شقيق الروح وباب الروح إلى حياتك، خصه بتلك الصفة بطريق القصر بـ "إنما" مع بلاغة التركيب إذ جعل المقصور عليه خبرًا عن المقصور؛ ليدل على مقدار العلاقة التي تربطك بهذا الصديق وقصره عليها حتى لا يتوهم أنها أي: العلاقة الرابطة بينهما أقل أو أضعف مما ذكر فضلًا عن الثبوت واللزوم المستفاد من الجملة الاسمية والقصر بـ "إنما" بجرسها وغنتها وقوتها ودلالتها دون غيرها من طرق القصر إذ تختص بالمواقف الهادئة الناعمة، وتتضمن الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف؛ لتبث فيها حياة جديدة

(١) ينظر: لسان العرب مادة (ص ح ح).

(٢) لسان العرب مادة: (ن ح ا).

وتسوقها إلى المتلقي سوقًا هادئًا وتطبعها تؤدة وريث[١] وإنما هدأت نفس المتلقي إذ وجدت غايتها بعد هذا التحري والاجتهاد؛ لتدرك حقيقة هذا "الأخ" والوصول به إلى حقيقة مقررة وأنه أصبح أخًا شقيقًا، و"الشقيق" هو أخو الرجل لأبيه وأمه، ومنه قوله ﷺ : "النساء شقائق الرجال " [٢]، أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطبائع كأنهن شققن منهم إلا ما استثناه الشارع

كالإرث والشهادة، والمعنى على ذلك أن من بلوته وعرفت مذاهبه وشيمه هو أخو روحك، ولكن إذا رجعنا إلى أصل الشِّق وجدنا أن معناه نصف الشيء [٣]، ويمكن حمل المراد على هذا الأصل أن هذا الصديق هو النصف المكمل لروحك أي التي هي أساس وجودك وحياتك؛ لأن الروح هي الجزء الأشرف والأساس في الإنسان، وهي تلك الطاقة النورانية التي طالما وِجِدت الحياة، وعلى النقيض عدمها يعني سلب الحياة أو الموت، والروح جزء من الإنسان، والمقصود الإنسان نفسه أو كله، فالتعبير بها مجاز مرسل، علاقته الجزئية، وإنما عبر بهذا الجزء عن الإنسان لما ذكر عن الروح.

---

(١) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية صـ٢١٨ أ.د/ صباح عبيد دراز ط١/ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م . مطبعة الأمانة.

(٢) الحديث في مختصر صحيح البخاري باب سنة الجلوس في التشهد١/٢٥٧، والجامع الصحيح للسنن والمسانيد باب الحياء من الناس جـ١٠ صـ٤٣، مسند أبي داود الأرناؤوط باب الرجل يجد البله في منامه ج١/١٧١، ومسند أحمد مخرجًا باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهماجـ٤٣ صـ٢٦٤.

(٣) الشِّقُّ مصدر قولك : شققتُ العود شقًا، والشَّق: الصدع البائن. ينظر لسان العرب مادة (ش ق ق).

وصيغت "**شقيق**" على "فعيل"؛ لإفادة ثبوت الوصف للموصوف؛ لأن المتحدث عنه هيئة ثابتة(١) ، ثم عطف عليه قوله: "**وباب الرَّوح إلى حياتك**" والرَّوح تدور مادته حول السرور والرحمة والاستراحة من كل ما يغم(٢) ، والتقدير: هو شقيق روحك، وهو باب الرَّوح إلى حياتك، وجعل للرَّوح بابًا على سبيل الاستعارة المكنية بتشبيه الروح بالبيت ونحوه، ويجوز حمله على التشبيه، وهو الأولى؛ لأن المراد أن هذا الصديق هو المدخل إلى الحياة بدلالة قوله: "**هو شقيق روحك**" قبله أي: المكمل لها. ولمَّا كان جزءا لا يتجزأ من الحياة صح أن يقال: أنه باب الروح، أي: المنفذ الذي تسلكه الروح حتى تصل إلى الحياة على تشبيه الروح بالباب بطريق الإضافة بجامع أن كلا منهما وسيلة موصلة إلى المراد، فالروح يتوصل بها إلى الحياة وهو معنوي وأما في البيت ونحوه فهو حسي، ولا شك أن التشبيه بالمحسوس فيه تقرير لحال المشبه وتمكين المعنى في نفس سامعه بصورة هي أقوى وأوضح .

وبين "الرُّوح" الأولى والثانية "الرَّوح" جناس محرف لاختلافهما في هيئة الحروف أعطى للألفاظ نغمة وجرسا طربت لها الأذن واهتزت لها النفس (٣) . ونلاحظ هنا تنوع آليات الإقناع بين التأكيد المستفاد من أسلوب القصر بـ "إنما" والجناس الناقص بين "الرُّوح والرَّوح" والاستعارة في "**باب الروح إلى حياتك**" مع الإمتاع الحاصل بالتخييل في الاستعارة المكنية والإيقاع الموسيقي العذب في

---

(١) ينظر: في ذلك دلائل الإعجاز صـ١٧٥.

(٢) مختار الصحاح مادة(ر و ح).

(٣) ينظر: أسرار البلاغة صـ١٥، وجرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب د/ ماهر مهدي هلال صـ٢٧٠، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م – دار رشيد للنشر، سلسلة دراسات.

الجناس الذي هزَّ نفس السامع بلذة ممتعة حملته على مواصلة الإنصات للفكرة المعروضة عليه. ثم عطف عليه قوله: "**ومستمد رأيك**" بـ "الواو"؛ لتدل على الاجتماع بدلالة لفظية مقصودة [١] على تقدير هو، والمعنى هو مستمد رأيك يعود على الأخ أو الصديق، ففيه إيجاز بحذف الفاعل للعلم به من سياق الكلام أو للاحتراز عن العبث في ذكره بناءً على ظاهر الكلام[٢] ، والمعنى: أن صديقك هو من تستمد منه رأيك وصياغته على اسم المفعول (مُسْتَمَدُ) [٣] وإضافته إلى الرأي بتشبيه الرأي بالمحسوس الذي يجوز فيه الأخذ والطلب وما شابه ذلك، ويجوز حمل الكلام على الحذف والتقدير: هو مستمد المشورة في الرأي.

وإذا كان هذا الأخ شقيق للروح وباب الروح إلى الحياة ومستمد الرأي فلا شك أن يكون(**توأم عقلك**) [٤]، والعقل ليس له توأم على الحقيقة، وإنما هو مجاز بتشبيه العقل بكائن يجوز فيه الحمل والولادة وغيرهما، وإثبات شيء من خواصه إلى المشبه وإسناد هذا اللازم إليه استعارة تخيلية فائدتها شدة المبالغة في وصف الموافقة والملاءمة بين عقل هذا الصديق وعقلك، ولعل الجاحظ آثر التعبير بلفظة "**توأم**" دون غيرها من الألفاظ الدالة على معنى الموافقة

---

(١) ينظر: الحاشية على المطول شرح تلخيص المفتاح للسيد الشريف الجرجاني صـ٢٥٠ قرأه وعلق عليه د/رشيد رضا – دار الكتب – بيروت – لبنان طـ١ ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: خلاصة المعاني للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي صـ ١٧٥ ت د/ عبدالقادر حسين – الناشرون العرب.

(٣) استمد من الدواة: أخذ منها مِدادًا، لسان العرب مادة (م د د) .

(٤) التَّوءَم أصله من الوئام وهو الوفاق، والتَّوءَّم من جميع الحيوان المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد ذكر كان أو أنثى، وقد يستعار في جميع المزدوجات، لسان العرب مادة (ت أ م) .

والمشابهة؛ للوصول إلى ذلك الشبه بين التوأمين الذي لا تستطيع معه التفرقة بين كل منهما بل ويلتبس على المرء أحيانًا تمييز أحدهما من الآخر.

فإذا وجدت صديقًا أو أخًا على هذه الشاكلة من التوافق وكنت قد بلوته فعرفت مذاهبه وشيمه، وسلمت لك ناحيته مما جعله شقيقًا لروحك ومستمد رأيك وتوأم عقلك فلم لا تتخذه أخًا وصديقًا وأنت لا تنتفع بعيشك وحيدًا.

يقول الجاحظ: "**ولست منتفعًا بعيش مع الوحدة، ولا بد من المؤانسة**" مبرزًا الحال التي يكون عليها المرء عند وحدته، وهي حال عدم الانتفاع بشيء من الحياة إطلاقًا، والتنكير في "**منتفعًا**" يفيد العموم وكذلك في "**عيش**"، ولإبراز مراده جاء بما يقابل الوحدة، وهي المؤانسة كما أن دخول النفي على الانتفاع فيه معنى التنفير، وعطفت جملة: "**ولا بد من المؤانسة**" على جملة "**ولست منتفعًا بعيش مع الوحدة**" للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود مناسبة بينهما وهي هذا التقابل بين مضمون كل منهما فلفظة "**لست**" تحمل معنى النفي ولفظة "**لابد**" تحمل معنى الإثبات والوجوب وتوحي بمعاني الحث والحضّ لتظهر المفارقة بين هذا وذاك فضلًا عن هذا اللون العذب من الموسيقى الذي أدى إلى لفت الانتباه وشحذ الفكر والإقناع بالمعنى والذي جاء من وجود المقابلة في الألفاظ والمعاني(١) ، ولفظة "**الوحدة**" تقابل لفظة "المؤانسة" وصياغة "**المؤانسة**" على المفاعلة توحي بالحركة والمشاركة فضلًا عن أجواء الفرح والسرور وما يقابله في التعبير عن "الوحدة"، وإدخال حرف الجر "مع"؛ لتوحي بحال العزلة والركود وانعدام الأسباب، فالتعبير على وجازته من التعبيرات الفياضة بالمعاني، وكأن الجملتين

(١) ينظر: قراءة جديدة في " نقد الشعر لقدامة بن جعفر" د/ عبدالحليم محمد شادي صـ٦١ طبعة ١٩٩٧م.

أفرغتا إفراغًا واحدًا، وصارتا بمثابة قولك: لا تنتفع بعيش إلا مع المؤانسة؛ لتفيد بذلك قصر الانتفاع بالحياة على المؤانسة ونفيه عما عداها.

والجملتان على قصرهما جمعتا بين الإمتاع العقلي في "**لا بد**" والإمتاع القلبي الذي جاء من المقابلة بين الجملتين.

فإذا ثبت هذا المعنى في ذهن المتلقي وجدت الجاحظ يرتقي بالمعنى ويوحي بأن مثل هذا الأخ لا بد من التمسك به وعدم استبداله بغيره مبينًا السبب في ذلك بقوله: "**وكثرة الاستبدال تهجم بصاحبه على المكروه**" [(١)]مستعيرًا لفظة: "**تهجم**" لمعنى تؤدي بهم إلى المكروه؛ لتجسيد ما هو معنى على طريق الاستعارة المكنية التي من شأنها بث الحياة في الجمادات، ومنح العقل لغير العقلاء، وإن كان هناك معاني وراء المعاني إذ يلمح في التركيب خيال بأن هناك دابة يمتطيها صاحبها قاصدًا خيرًا فلمَّا استبدلها بغيرها انتهى به ذلك إلى الشر وما فيه مشقة له.

وتقديم المسند إليه **(كثرة الاستبدال)** على الخبر الفعلي **(تهجم)** أفاد تنبيه السامعين إلى المقدم مع تقوية الحكم وتقريره ، وصياغة الفعل على المضارعة التي تفيد تزجية ومزاولة في معناه [(٢)] للدلالة على تجدد تعرض المستبدل

---

(١) استبدل الشيء بغيره وتبدله إذا أخذ مكانه، لسان العرب مادة (ب د ل) وتبديل الشيء أيضًا بغيره وإن لم يأت ببدله. ينظر: مختار الصحاح للرازي مادة (ب د ل) ، دار الحديث – القاهرة – ط ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

"تهجم " هجم على الشيء بغتة، من باب دخل مادة (هـ ج م) الصحاح، وهجم على القوم يهجم هجومًا انتهى إليه بغتة وقيل: بغير إذن واستعاره علُّى كرم الله وجهه للعلم فقال : هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح التَّدين – لسان العرب مادة (هـ ج م).

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز صـ١٧٥.

للمكروه والمشقة في حياته، والباء في "بصاحبه" للسببية، والمعنى: تهجم كثرة الاستبدال بسبب فعل صاحبها على المكروه، ويشتَّمُ فيها أيضًا معنى الإلصاق[١] وإن كان بعيدًا ولكنه يتوافق مع المعنى المراد؛ لتدل على أن كثرة الاستبدال تهجم ملتصقة بصاحبها على المكروه للدلالة على أنه يواجه المكروه وجهًا لوجه مع ما توحي به لفظة "**الهجوم**" من السرعة في الانقضاض، والحرف "**على**" يفيد الاستعلاء ودخوله على "المكروه" من قبيل الاستعارة التبعية بجعل المكروه حسيًا له سطح، يمكن الاستعلاء عليه ولا عجب فالاستعارة ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول كأنها قد جُسّمت حتى تراها العيون[٢] وتصور المستبدل وهو يواجه المكروه في أعلى درجاته وقمته إيحاءًا بأنه قد بلغ الغاية في السوء والمشقة وفي هذا كل التنفير من الاستبدال وكثرته.

وإقناع للقارئ بهذه الفكرة عن طريق الاستعارة في "**تهجم**" والتقديم في المسند إليه في "**كثرة الاستبدال تهجم**" مع الإمتاع الحاصل بالتخييل في الاستعارة والتنبيه والعناية بالمسند إليه المقدم.

ثم عطف قوله: [**فإذا صفا لك أخ فكن به أشد ضنًا منك بنفائس الأمور**] بالفاء؛ لاتصال الجملة بما قبلها على الترتيب والتعقيب بلا مهلة[٣] ، والمعنى: إذا ثبت ذلك عندك وأقره قلبك فصفا لك أخ فكن به أشد ضنا بلا تمهل

---

(١) ينظر: شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح الفوائد لمحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش ٦/٢٩٣٩، ط١، ١٤٢٨هـ.

(٢) ينظر أسرار البلاغة صـ ٤٣.

(٣) (الترتيب بالفاء على ضربين: ترتيب في المعنى، وترتيب في الذكر، والمراد بالترتيب في المعنى: أن يكون المعطوف بها لاحقًا متصلًا بلا مهلة) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي المصري المالكي صـ٦٣ ت/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط١/ ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

في ذلك، وقد بنى هذا المعنى على أسلوب الشرط (لما له من خاصية ربط الكلام ولم أطرافه مما يجعل الكلام معه كأنه جملة واحدة) [١] واختار "إذا " دون غيرها من أدوات الشرط لكون الشرط بها مقطوعًا بوقوعه أو لدلالتها على "الجزم بشرطها" [٢]على خلاف غيرها من أدوات الشرط، لذا كان من المناسب لاستخدام "إذا" الشرطية أن يصاغ فعلها على صيغة الماضي لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرًا إلى اللفظ[٣]، ونُكرت لفظة "أخ" للدلالة على نوع خاص[٤] من الإخوان إذ ليس المقصود صفاء أي أخ بل هو الذي بلوته في السراء والضراء وخبرت شيمه وسلمت لك ناحيته ....إلخ.

ويحتمل أيضًا التعظيم وجواب الشرط " **فكن به أشد ضنًا** " واقترن الفعل بالفاء؛ لإفادة الترتيب بلا مهلة وصياغة الفعل على صياغة الأمر مناسب لذلك، بما يحمل من معنى الإيجاب والمعنى يتحتم عليك وفي الحال أن تضن به، و"**الضن**" هو البخل بالشيء والإمساك به والمراد لازمه من العناية والرعاية لأن من يبخل بشيء يستلزم أن يكون حريصًا عليه يوليه أفضل العناية وحسن الرعاية وأن يكون تفريطه فيه محالًا، والضمير في "**به**" يعود على الأخ المتقدم،

---

(١) أراك عصي الدمع لأبي فراس الحمداني دراسة بلاغية نقدية – د/ صلاح حبيب سليمان صـ٢٣٤٩، مجلة اللغة العربية بأسيوط – العدد ٣١ الجزء الرابع.

(٢) ينظر البلاغة العالية "علم المعاني" لعبد المتعال الصعيدي صـ٩٩ تقديم أ.د/ عبدالقادر حسين – المطبعة النموذجية مكتبة الآداب ط٢ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(٣) ينظر: الإيضاح صـ ٥٣.

(٤)إفادة النوعية من أغراض تنكير المسند إليه. ينظر: خلاصة المعاني للحسن بن عثمان المفتي صـ١٦٥ ت أ.د/ عبدالقادر حسين – الناشرون العرب.

و"**أشد**"[(١)] أفعل تفضيل، دخلت على المصدر"**ضنًا**"، وفي هذا التركيب لفتةٌ رائعةٌ إلى قيمة الصديق الصدوق، وهي مناسبة للمقام والمقصد، ويُلمح في التعبير تشبيه غير اصطلاحي، وهو تشبيه التفضيل حيث شبه الصديق بالأموال النفيسة بجامع أن كلًا منهما مما يستحق الضن والإمساك به إلا أن الضن يجب أن يكون أشد في الصديق أو الأخ المشار إليه، وفيه إيحاء بأنه أشد نفاسة من الأموال التي جعل الله الميل إليها طبعي، والجمع في: "**أموالك**" يفيد عموم ما يطلق عليه اسم مال من نقد وذهب وغيرها ووصفها بالنفاسة للدلالة على شدة الرغبة فيه ومن ثم شدة التمسك به، ومن هنا يستوحى الغرض من التشبيه وهو بيان مقدار المشبه.

ويجوز أن يكون الغرض هو تقرير حال المشبه وتمكينه في نفس السامع بإبرازه في صورة هي الأقوى والأوضح؛ لكون المشبه به مما يُدرك بالحواس والتشبيه بالمحسوس يفيد قوة وتمكن، وأيما كان الغرض فالتشبيه جيد، قد نجح في وصف معنى ذهنيًا قلبيًا في صورة حية بينة [(٢)]. وهو أداة قوية في الإقناع بضرورة التمسك بالصديق لأن صداقته من الأمور النفسية التي تميل إليها النفوس ثم عطف الجملة بعدها بـ "ثم" في قوله: **(ثم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خُلقًا أو خُلقين تكرههما)** (للدلالة على أن الثاني بعد الأول

---

(١)وهو اسم لدخول علامات الاسم عليه .... ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزيه ٥٨١/١ – ت/ محمد عوض السهلي – نشر أضواء السلف – الرياض.

(٢) ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان أ.د/محمد محمد أبو موسى صـ١٤٣.

وبينهما مهلة) [١] والنهي مجازي قصد به النصح والإرشاد والمنهي عنه الفعل "يزهدنك" [٢] الذي صيغ على المضارعة لإرادة الاستقبال مع نون التوكيد؛ للحث والتأكيد على البعد عن المنهي عنه، وهذا التأكيد من شأنه إقناع المخاطب والتأثير في موقفه. والضمير في: " فيه " يعود على الأخ المتقدم الذكر وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر تقديره رؤية، والرؤية بصرية مفعولها "خلقًا" الذي نكر؛ للإفراد والتقليل، والمعنى خلق واحد لا يعجبك مقابل جميع أخلاقه وشيمه الفاضلة لا تُنفرك من صديقك.

ثم قال: " **أو خلقين** " بالعطف على خلق، والتقدير وخلقين كذلك ثم عطف على هذه الجملة قوله: " **فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد، فكيف** " عطفها بالفاء لتدل على ارتباطها بما قبله[٣]ا ، وصُدِّرت الجملة بـ" إن " لتأكيد مفهوم الخبر بعدها، وهذه دقة في الصياغة؛ لكون هذه الجملة مُساقة مساق الدليل على الجملة السابقة عليها، وحتى يكون الدليل قويًا في الإقناع عرَّف نفس المخاطب بالإضافة إلى ضمير الخطاب في "نفسك"؛ لأنها أخصر طريق لإحضار المعنى في ذهن السامع، والمعنى: أن نفسك التي أنت أعرف بها والمتحكم فيها (**لا تعطيك المقادة في كل ما تريد)** وجيء بالمسند جملة فعلية مسبوقة بنفي للدلالة على انتفاء دوام انقياد النفس لصاحبها في كل ما يريده وفي هذا تقوية للحكم السابق وهو أن

---

(١) ينظر: حروف المعاني والصفات لعبدالرحمن اسحاق الزجاجي صـ١٦ – ت/علي توفيق الحمد ط١ – مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) التزهيد في الشيء وعن الشيء ضد الترغيب فيه ، لسان العرب مادة(ز هـ د) .

(٣) الفاء تدل على ربط الشيء بما قبله ، ينظر: الرابط وأثره في التراكيب العربية د/حمزة عبد الله النشرتى ص٥٨، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

رؤية خُلق أو خُلقين يكرههما المرء من صديقه لا تضر. وبين لفظة "**نفسك**" و"**النفوس**" جناس اشتقاق لاتفاقهما في الحروف الأصول وفي أصل المعنى، وجاءت صلة الموصول "**التي**" جملة اسمية؛ لإفادة الثبوت والدوام في اختصاص النفس بصاحبها، والنفي في قوله: "**لا تعطيك المقادة في كل ما تريد**" غير متسلط على الفعل بل متسلط على العموم الحاصل بـ " **كل**" فأفاد التركيب سلب العموم والشمول، أما الفعل فثابت في بعضه، ومنفي في البعض الآخر والمعنى: أن نفسك تعطيك المقادة في بعض ما تريد، وأما البعض الآخر فلا وهذا هو المناسب للمقام إذ سياق الكلام أنه قد يعجبك الكثير من خلق صديقك وأما القليل منه لا يعجبك ولا يضرك.

وهنا وظَّف الجاحظ النهي المجازي الذي غرضه النصح والإرشاد والجناس لإقناع القارئ وتلك النغمة الإيقاعية للجناس فيها إمتاع وتهيئة نفسه لقبول القضية التي طرحها . ثم ختم المعنى بقوله: " فكيف بنفس غيرك؟!" ، والأصل في كيف السؤال عن الحال(١)، وقد خرجت عن هذا المعنى الحقيقي، لإبراز معنى التعجب من شأن من ينفر عن صديقه؛ لوجود خُلق أو خلقين لا يعجبانه فتمام الأمور من المحال، وليس أدل في الإقناع بأن ظهور بعض أخلاق تكرهها من صديقك الذي قد أجهدت نفسك لتتعرف على حقيقته وأخلاقه لا تضر، فليس أدل على ذلك من نفس الإنسان الملازمة له، ومع ذلك لا يدوم انقيادها، وقد يظهر منها ما لا يرضي صاحبها، فليس بعد ذلك كلام آخر أكثر إقناعًا مما ساقه الجاحظ بطريق الاستفهام الذي من شأنه تنبيه نفس المخاطب وحملها على التسليم بالحجة المذكورة والإقرار بها.

---

(١) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن د/عبدالفتاح لاشين صـ١٣٢/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م – دار الفكر.

ثم قال: **(إذ بحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره)** [١]أي: من الكافي أن يكون لك من أخلاق أخيك أكثره على حذف مضاف تقديره أخلاق، ثم دلل على كلامه السابق وألح في الإقناع به بإيراد مثلين الأول، "**من لك بأخيك كله**"[٢] والثاني : "**أي الرجال المهذب**" والمعنى فيهما: أنه ليس أحدًا خاليًا من العيوب؛ لذا إذا كان الغالب فيه الإحسان وحسن الخلق فلا بد أن تغض الطرف عن سقطته إذ من المحال خلو الإنسان من كل العيوب ومن هذا المعنى أيضًا قول النابغة الذبياني: [٣]

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمَّهُ ∴ على شعثٍ أيُّ الرجال المهذَّب

والمعنى في هذا المثل الثاني: **(أيُّ الرجال المهذَّب)** أي الرجال الكامل الذي لا عيب فيه و"**أي**" مجازية تفيد الاستبعاد، أي من المستبعد أن يكون هناك مَن ترضى سجاياه كلها وتقبل صفاته جميعها ونلاحظ هنا أن الجاحظ عمد إلى تنويع أدوات الإقناع فاستعمل هنا حجة الاقتباس من الأمثال والشعر

---

(١) بحسبك: اسم فعل أمر، بمعنى يكفيك ينظر الصحاح مادة (ح س ب).

(٢) ينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ت/إحسان عباس ط١/ ١٩٧١م مؤسسة الرسالة، وأول من نطق بهذا المثل حبى بنت مالك بنت عمرو العدوانية ، وكانت جميلة، فلما خطبها أحد ملوك غسان ولما أراد حملها قالت أمها لنسوتها " إن لها عند الملامسة رشحة فإذا أردتن إدخالها على زوجها فامسحن أعطافها بما في أصدافها، فلما استعجلها زوجها لم تفعل ذلك فوجد لها رويحة، فلما أصبح قال له أصحابه كيف وجدت طروقتك قال لم أر كالليلة لولا رويحة أنكرتها فسمعت قوله من خلف الستر فقالت: لن تعدم الحسناء ذمًا وقالت هذا المثل .

(٣) راجع: ديوان النابغة صـ٥٧ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، ونهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف/ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ٣/٦٣– ت د/ حسن نور الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

الذي أكسب الكلام قوة وبلاغة وجعله محل قبول عند المتلقي حتى يذعن بعدم وجود صديق خال من كل العيوب أو الكامل الذي لا عيب فيه مطلقًا فالكمال لله وحده.

الفكرة الثانية: **الدعوة إلى الاستكثار من الأصدقاء**.

يقول بالعطف على ما سبق: **(ثم لا يمنعك ذلك من الاستكثار من الأصدقاء)**، والمشار إليه هو العلم بعدم وجود أخ كامل الأخلاق وإسناد المنع إليه مجاز على سبيل المكنية بجعله حيًا، يستطيع المنع والإجازة وغيرهما، ثم قال: "**فإنهم جند معدون لك**"، وكأن سائلًا سأل لماذا لا يمنعك ذلك من الاستكثار من الأصدقاء؟ فقيل: إنهم جند معدون بتشبيه الأصدقاء بالجند، حيث جعل الجند خبرًا عن الأصدقاء أو (المشبه به خبرًا عن المشبه) واتصاف المشبه به بقوله: "**معدون لك**" يرقى بالتشبيه إذا أوحت بالإعداد والتهيئة فيهم وكأنهم مترصدون للأمر ومهمتهم الدفاع عنه.

ثم قال: **(ينشرون محاسنك ويحاجون عنك)**، أى: يذيعون محاسنك، ويجادلون عنك، وهم يستمرون على ذلك بدلالة صياغة الفعل على المضارعة، ثم قال: ناصحًا ومرشدًا **(ولا يحملنك استطراف صديق ثان على ملالة للصديق الأول)** ناهيًا عن ملالة الصديق عند استطراف غيره ثم بين علة ذلك لإقناع المخاطب أو القارئ على طريقة الجاحظ، فيقول:**(فإن ذلك سبيل أهل الجهالة، مع ما فيها من الدناءة وسوء التدبير، وزهد الأصدقاء جمعيًا في إخائك)** [١] .

(١) زهد في الشيء: أعرض عنه وتركه مخافة الحساب أو العقاب، لاحتقاره أو قلته أو التحرج منه لسان العرب مادة(ز هـ د).

بمعنى أن ملالة الصديق الأول عند استطراف صديق ثان من شأن الحمقى الذين يعتقدون صحة الشيء، والأمر على خلاف ما هو عليه، وفيه أيضًا دناءة، وسوء تدبير، وإعراض للأصدقاء عنه، وعدم رغبتهم فيه، والإضافة في "**سبيل أهل الجهالة**" لتحقير هذا السبيل حتى ينفر منه، ثم ختم هذا المعنى بقوله: **(والله يوفقك)**، وهو دعاء حسن بدوام التوفيق للمخاطب، يوحى بالانتهاء من الفكرة والنجاح فيها إذ لا يبقى عند النفس ما يخاطب به.

وهذا الدعاء فيه استمالة لنفس المتلقي واسترعاء لذهنه ومن ثم إقناعه وإمتاعه.

الفكرة الثالثة: **توجيه الجاحظ إلى اختيار أصدقاء تتوافر فيهم صفات معينة**:

يوجه الجاحظ إلى اختيار الأصدقاء الذين تتوافر فيهم صفات معينة بقوله: **(وستجد من الناس من قد جربته الرجال قبلك ومحضه اختبارهم لك فمن كان معروفًا بالوفاء في أوقات الشدة وحالات الضرورة)** بالعطف على ما سبق للتوسط بين الكمالين والمعنى: ستجد أناسًا مجربون بالفعل، بدلالة دخول **(قد)** على الفعل الماضي، والمجرب لهم رجال قبلك معهودون لك، فالناس قد اتفقوا في التجربة من قبل الرجال، ولكن افترقوا في موقفهم من هذه التجربة فمنهم من كان معروفًا بالوفاء في أوقات الشدة وحالات الضرورة، والتقييد بالجار والمجرور في قوله: "**أوقات الشدة وحالات الضرورة**" له دور في إقناع المخاطب باختيار مثل هذا الصديق إذ مثل هذه الأوقات يكون ثقيل تحملها على الإنسان بمفرده فإذا وجد من الناس من يفي لك فيها فهو الجدير بالصداقة وهو من يجب المنافسة فيه والسبق إليه بسرعة بدلالة العطف بالفاء حيث يقول الجاحظ:**(فنافس فيه واسبق إليه)** معللًا ذلك بأن:**(اعتقاده أنفس العقد)**، ومن بلاه غيرك فكشف عن كفر النعمة والغدر، ولا يفي لأحد، ففي الكلام تفريق إذ عمد في الكلام إلى نوعين من الناس وأوقع بينهما تباينا والتفريق هنا غير

متكلف إذ تطلبه المعنى فزاد الكلام جمالًا وبهاءً لما فيه من التآلف بين المتفرقين وقد أشاد به العلوي، وجعله مثل الجمع من عوارض البلاغة، فقال: (التفريق والجمع والتقسيم من عوارض البلاغة، وإذا وقعت في الكلام بلغ مبلغًا عظيمًا في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها) (١)، وبالإضافة إلى هذه الصفات الذميمة من الغدر وعدم الوفاء وكفر النعمة وصفه بقوله: "**إنما يميل مع الرجحان**" (٢) أي: يتأرجح بين أمرين، وهما:" يذل عند الحاجة ويشمخ عند الاستغناء"، والذل يعني الضعف والهوان والحقارة، أما الشموخ فهو التكبر والعظمة، فهما متطابقان، كما أن الحاجة تطابق الاستغناء، ففي الجملتين مقابلة اثنين باثنين، وهذه المقابلة لها دورها في إبراز المعنى إذ وضحت هذه الشخصية التي ليس لها مبدأ في الحياة ولا قيم ثابتة، وإنما هي نفس متأرجحة، بدلالة جمعها بين المتناقضات، وهذه المقابلة لعبت دورها في إقناع المخاطب عن طريق تأكيد المعنى المراد وتثبيته فضلًا عن الزخرفة اللفظية التي حملته إلى العجب والطرب، ثم نصح بالبعد والنفور، عنه بقوله: "**فاحذر ذلك**" بالعطف على ما سبق بالفاء لسرعة توخي الحذر من هذه الشخصية المتأرجحة، ولعل الجاحظ أراد توكيد المعاني السابقة والإلحاح في الإقناع بها فقد سبق وأن قال عن معيار الصديق الجدير بالصداقة قال: "**من بلوته في السراء**" أي: في الرخاء والنعمة ليقرر أن مثل هذا الإنسان الذي بلوته في السراء وثبتت براءته لا بد من التمسك به، وفي المقابل هذه الشخصية التي تشمخ عند الاستغناء

(١) ينظر: الطراز للعلوي ٨٧/٢ – ت/ محمد عبد السلام شاهين– دار الكتب العلمية ط١–١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

(٢) ميل بين الأمرين أي تردد في الجمع بينهما، ورجح الشيء يرجح رجوحًا ورجحانًا: مال، والتمييل بين الشيئين كالترجيح بينهما، لسان العرب مادة (م ي ل).

وتذل عند الحاجة، وبهذا قرر الجاحظ أن هناك صنفين من الناس: صنفًا ذا مبادئ وقيم وأخلاق وهذا الصنف يجب السبق إليه، واستعمل لفظة "**السبق**" التي توحي بتنافس الناس على هذا الصنف ليوحي بأن صداقة هذا الصنف هي الغاية المرجوة، أما الصنف الثاني فهو صنف متأرجح ليس له ثبات على مبدأ ولا أخلاق له، وهذا الصنف أمر الجاحظ بالحذر منه، وبذلك استطاع أن يعمق إحساسنا تجاه كل صنف بهذه المقابلة اللفظية التي كانت أداة رئيسة لإبراز المعنى وتقويته، وهذه براعة من الكاتب في صياغة عباراته، وختمه موضوع الصداقة بهذه المقابلة؛ لتبقى هذه المفارقة بين صنوف البشر في قلب السامع يعيها ويوجه بها فكره ومن ثم يستخلص رأيه وبهذا أنهى الجاحظ رسالة الصداقة بهذه الخاتمة التي توحي بانتهائه، وتشعر بقفله.

وكانت آخر جملة في الرسالة هي قوله: "**فاحذر ذلك**" هذه الخاتمة التي لها دور كبير في إقناع المخاطب عن طريق أسلوب من الأساليب الإنشائية وهو أسلوب الأمر ومجيئها على هذا الأسلوب وفي هذا المكان– آخر الرسالة– لتكون بالذهن ألصق وبالقلب أعلق.

* * * * * *

المبحث الثاني

سمات وخصائص بلاغة الجاحظ ت (٢٥٥) في رسالة الصداقة

يعد موضوع الصداقة من الموضوعات المجتمعية التي تشمل المجتمع بكافة طبقاته؛ فما من مرء إلا وله صديق يأمل أن يشاركه آلامه قبل آماله، وأحزانه قبل أفراحه؛ لضعف النفس عند المكروه، واحتياجها إلى كل ما يقويها، ومن أهمها الرفيق؛ لذا كان اختياره وكيفية الحفاظ عليه موضوع من الأهمية بما كان، نحتاج فيه إلى خبرة مجرب، وحكمة حكيم، وناصح أمين يستطيع بكل هذه الصفات أن تمس كلماته قلوبنا، وتذعن لِفِكَرِهِ عقولنا، فتمتثلها أفعالنا، كل ذلك تجده في تلك السطور التي سطرها الجاحظ في رسالته. تقرأ كلماته وكأنه اختلج نفسك، وفهم دواخلك دون أن تنطق بها. وكثير منا يعتريه هذا الشعور ويتردد في نفسه سؤال: (هل صديقي جدير بصداقتي؟ أم أنني أضع عواطفي في غير مواضعها؟ وبعد حيرة يُرضى نفسه بعلة (لعله أفضل من غيره). لكن ليس الحكم عليه بهذه الأفضلية نابع عن اقتناع وقناعة، بل من الخوف من مواجهة الأسوأ؛ لذا ترى الجاحظ من بداية الرسالة يؤسس لدعواه بحجج من شأنها نفى حجة المتلقي، وتغذيته بالإقناع ممزوجاً بالإمتاع. وآليات الإقناع تعددت في الرسالة، ولكنها على تعددها فيها إعمال للعقل الذى هو من أسباب استمالته، مع دقة نظم كلماته وأساليبه ذات التأثير الكبير على المُتلقى، ومنها افتتاح الرسالة بالقسم قاصدًا تأكيد مضمون الأخبار بعدها؛ لخلق مصداقية بينه وبين المُتلقى مفتاحها التدين، وانتقاء لفظة " **لعَمرى** " دون غيرها من ألفاظ القسم؛ لأنها تنفرد بمعنى خاص وهى الحلف بعمره وحياته، ومن آليات الإقناع أيضًا التوكيد الذى نبع من استعمال أسلوب القصر في الرسالة، والذى استعمله نحو خمس مرات. تجده في أول الرسالة يسوق معانيه من خلال أساليب النفي والاستثناء في مقام الدعوة إلى الأخذ بالأسباب في الأمور، وعدم الركون إلى

التصنع، والاتكال على اتفاقها لمن يعمل بالتفريط. ولا شك أن هذا المقام يحتاج إلى قوة صارمة في دفع أي شك، أو إنكار قد يرتاب المتلقي (فليكن الأديب مؤديًا معناه على مستوى الدقة المزيلة لهذا الإنكار وإزالة الشك) [١]وهذا ما يظهر عبقرية المبدع، وقوة تأثيره على النفوس، وإقناعها باستعمال أقوى طرق القصر في أداء هذا المعنى. تراه مزج هذا الإقناع بإمتاع جاء من بناء أسلوب القصر على الاستعارة المكنية في(**يجئ**) الذى صور فيه اتفاق الأمور لمن يعمل بالتفريط في أمور قلائل بصورة حي، وعندما أثبت للسلامة مجيئا وللأمور وجوهَا كل هذا الخيال أثار متعة خففت من حدة الإقناع، وهذا إلحاح من الجاحظ بفكرته؛ إذ تراه فيها يشتغل على العقل والقلب معًا الأول بإقناعه، والثاني بإمتاعه، ثم يضع لك قاعدة تسير على نهجها في حياتك عن طريق القصر بـ(**إنما**) في قوله: (**إنما الأشياء بعوامها**)، وجعله ميزانًا تزن عليه أمورك كلها وليس الصداقة فقط؛ فترجح عندك كفة الحق التي تشبع عقلك، وتريح قلبك ووجدانك.

وفى محور الصداقة يأخذ بيدك ليريك صديقك الذى تقدمت إليه رجلك وتأخرت الأخرى، وقد هدأت نفسك واستقرت؛ لرؤيتك الشائع الجميل في خلال صديقك الداخل ضمنًا في القصر بـ(**إنما**) في قوله:(**إنما الأشياء بعوامها**)، والتى ناسب استعمالها المقام؛ لكون مضمونها مما يقتضيه العقل ولا ينكره، ومع ذلك تضمنت تأكيدًا؛ لكونها مركبة من(إن) التي تفيد التأكيد والتحقيق في الإسناد، و(ما) على اختلاف ما قيل في نوعها من كونها مؤكدة أو نافية أو مهيئة. وما القصر إلا تأكيد على تأكيد. وأيضًا القصر في قوله: (**إنما هو شقيق روحك وباب الروح إلى حياتك**) الذى جُعل فيه المقصور عليه خبرًا عن

(١) بلاغة القصر، دراسة نقدية تحليلية، أ.د عبد العزيز أبو سريع ص٤٤، مكتبة الآداب.

المقصور، فتضمن إلى جانب القصر والتأكيد تنبيه المخاطب إلى ما تمليه علاقة الأخوة التي قررها الجاحظ بوصفه الصديق بأنه شقيق الروح. وجاء القصر بـ **(إنما)** ملائمًا للمقام إذ تختص إنما بالمواقف الهادئة الناعمة، وتتضمن الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف فتبث فيها روح الحياة، وتسوقها إلى المتلقي سوقًا هادئًا ناعمًا، بالإضافة إلى مزجه بالخيال عندما جعل للروح بابًا، وللعقل توأمًا، وما توحيه لفظة **(التوأم)** من الوفاق والوئام، وكلمة **(باب)** من كون الأخ أو الصديق هو المدخل الرئيس للحياة، وهذا أيضًا إقناع بإمتاع.

وانظر إلى التأكيد في النهى بقوله: **(فلا تكونن لشيء مما في يدك أشد ضنًا، ولا عليه أشد حدبًا منك بالأخ)** ليدل على مقدار الاستئثار الذى يطلبه تجاه صديقك، والإشارة إلى أنه الوحيد الجدير بالضن والحدب ولا عبرة بما عداه، وكيف حول الجاحظ هاتين اللفظتين _ بدقة نظمهما_ من كلمتين تشمئز منهما النفوس إلى كلمتين تريح القلوب. (فالضن) التي أصل معناها البخل والحرص تحولت إلى حسن رعاية النفيس الذى هو ثمرة جهدك وتحريك عنه. وأيضًا تكرار لفظة (أشد) في قوله: **(أشد ضنًا)** و **(أشد حدبًا)**. هذا التكرار اللفظي فيه تأكيد، ودلالة على عمق إحساس الجاحظ بالمعنى، وسيطرته عليه بالإضافة إلى أهمية هذه المعاني التي طلبها في أقصى درجاتها وشدتها، وقد مزج هذا التأكيد بخيال جميل في قوله: **(مما في يدك)**، والاستعارة في (ضنًا) و(حدبًا). وانظر إلى الترقي في المعاني الذى تولد من تأخير الحدب على الضن، فأشار إلى التمسك بالصديق عن طريق اليد، ثم ارتقى فطلب مزيدا منه بكافة الجسد بلفظة (حدبا) فيظهر الجاحظ بهذه العبارات والكلمات الموحية كأنه عالم نفسى، أو عالم اجتماع، يوهمك بأنه في بيئة نفسية أو اجتماعية. وكذلك أساليب النهى والأمر في الرسالة التي دخلت على الأفعال المضارعة المقترنة بنون التوكيد نحو قوله: **(فلا تكونن لشيء مما في يدك)**، وقوله: **(لا يزهدنك**

منه أن ترى خلقاً أو خلقين تكرههما)، وقوله:**(لا يحملنك استطراف صديق ثان على ملالة الصديق الأول)** للنهي عن مزاولة أي من هذه الأفعال بصورة مؤكدة ومن أساليب الأمر الصريح قوله: **(فكن به أشد ضناً)**، وقوله: **(فنافس فيه وأسبق إليه)** في مقام الدعوة إلى التمسك بهذا الأخ أو الصديق، وكذلك عند التحذير من صحبة الشخصية المتأرجحة بقوله: **(فاحذر ذلك)**.

كما استعان بالشعر القديم الذى هو منبع الآداب، والأمْثال العربية؛ لتأكيد المعاني التي يدعو إليها في قوله: **(أي الرجال المهذب)** والذى جاء في شعر النابغة، وقوله :**(من لك بأخيك كله)** ومنها أيضا المقابلات بين الأوصاف المحمودة، والأوصاف المذمومة في قوله: **(فمن كان معروفًا بالوفاء في أوقات الشدة وحالات الضرورة، فنافس فيه، واسبق إليه)** وتعليله لذلك بقوله: **(فإن اعتقاده أنفس العقد)** وفى مقابل ذلك يقول: **(ومن بلاه غيرك فكشف عن كفر النعمة والغدر، لا يفي لأحد، وإنما يميل مع الرجحان يذل عند الحاجة، ويشمخ عند الاستغناء فاحذر ذلك)** فاستطاع بهذه المقابلة التصوير الأخلاقي لكلتا الشخصيتين، والتي تبرز كلًا من الضدين: هذا بجماله، وهذا بقبحه تاركةً تأثيرها الجمالي على المتلقي، حتى جرته جرًا إلى الحكم على هذه الشخصيات. تلحظ أن الجاحظ كان له فضلٌ كبيرٌ في تقديم الرسالة، وإبراز رونق معانيها وجمال أفكارها، وزاد من ذلك حسن الموقع والتأثير من خلال الأوصاف، والتصوير والمحسنات البديعية، فجعلت الرسالة تزاوج بين الحجج الدامغة بأسلوب ممتع مثير، حتى جعلها كسائر كتاباته في أعلى مراتب البلاغة. واستطاع الجاحظ الحصول على ما يريد من السامع بأساليبه الإقناعية، وحيله الدفاعية التي كانت له دعامة لإرساء الحقائق وصرحٌ للعلم .

كما نرى تمكن الجاحظ في رسالته من أدوات إقناع المخاطب بأفكاره التي حوتها الرسالة التي تدور حول "**الصداقة**" ورأينا جماليات الأسلوب الذي

أدى به عباراته في رسالته ليصل بمخاطبه ومتلقيه وهو يحدثه "عن الصداقة" وأهميتها في حياة الشخص أن يكون الإنسان ثابتًا منضبطًا غير متأرجح.

وقد أدت أساليبه البلاغية وصوره البيانية ومحسناته البديعية ما أراد إيصاله من معان إلى قلب متلقيه وعقله بطريقة خلابة وصورة رائعة جذابة وهذه هي البلاغة الجديدة التي يتنازع فيها الإمتاع والإقناع للوصول لأفكار القارئ وعقله وقلبه .

* * * * * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وعلى سيدنا محمد أفضل الصلوات وأتم التسليمات وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

وبعد...

فقد قضينا وقتًا وجيزًا مع نفحة من نفحات تراث نثري فياض لكل الولعين بعبقرية الجاحظ وهو موضوع "الصداقة "ضمن رسالة "المعاش والمعاد "وقد أثار الموضوع إعجابنا بما أبدعته قريحة الجاحظ وفكره بأسلوب فيه ما فيه من صحة الدلالة ووضوح البرهان وقد لوحظ من خلال عرض وتحليل النص النثري عدة نتائج ومنها:

١ – اتسم النص بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وصحة التراكيب وروعة الخيال استعان الجاحظ فيها بالكثير من الأساليب البلاغية ومنها الاستعارة التبعية والمكنية والمجاز المرسل والتشبيه وكان أكثرها شيوعًا الاستعارة المكنية والمجاز المرسل

أما في علم المعاني فاستخدم القصر بطريق النفي والاستثناء وإنما والعطف للتوسط بين الكمالين، وفي علم البديع كانت المطابقة والمقابلة عونًا له في إبراز المتناقضات كما كان جناس الاشتقاق وسيلة لإثارة الأذهان .

واستطاع الجاحظ بهذه الألوان البلاغية أن يطبع في نفوسنا أهمية الصديق والصداقة ويلفت الأذهان إلى دورهم المؤثر ماديًا ومعنويًا.

٢ – ألحَّ الجاحظ في الإقناع بفكرته بعدة وسائل منها القسم، القصر، التوكيد، والاقتباس من الأمثال العربية.

٣ – استطرد الجاحظ في الفكرة لإبعاد السأم عن نفس القارئ فيزداد الإقبال عليها.

٤ – الملاءمة بين الألفاظ والمعاني مع دقة الأسلوب.

٥ – تعد رسائل الجاحظ قطوفًا دانية للدراسة البلاغية والنقدية لاستظهار ما وراء المعاني من قيم وأخلاقيات تزداد الحاجة إليها في عصرنا الحديث.

والحمد لله رب العالمين...

المصادر والمراجع

م	المصدر أو المرجع
١-	الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي لناصر دخيل فالح السعيدي رسالة دكتوراه إشراف/محمد إبراهيم شادي- جامعة أم القرى.
٢-	إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك لابن قيم الجوزيه، ت/ محمد عوض السهلي نشر أضواء السلف – الرياض.
٣-	أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية لصباح عبيد دراز- ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – مطبعة الأمانة.
٤-	أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، نشر مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجده ، ط١- ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
٥-	الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني دار الجيل – بيروت – لبنان.
٦-	البخلاء للجاحظ ط٢- ١٤١٩هـ دار ومكتبة الهلال بيروت–لبنان.
٧-	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ/عبد المتعال الصعيدي ١٤١٤هـ- ١٩٩٧م نشر مكتبة الآداب.
٨-	البلاغة العالية "علم المعاني" لعبد المتعال الصعيدي تقديم أ.د/عبدالقادر حسين – المطبعة النموذجية مكتبة الآداب ، ط٢، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٩-	بلاغة القصر دراسة تحليلية أ.د/ عبد العزيز أبو سريع – مكتبة الآداب.
١٠-	البلدان لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ط١- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

م	المصدر أو المرجع
١١-	البيان والتبيين للجاحظ ، نشر دار مكتبة الهلال – بيروت – لبنان ١٤٢٣هـ.
١٢-	تاريخ بغداد وذيوله لأبي بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا – طـ١– ١٤١٧هـ.
١٣-	التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان أ.د/ محمد محمد أبو موسى طـ٤ مكتبة وهبه.
١٤-	تطور الفكر اللغوي (من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل) لعبدالسلام عشير– مطبعة المعارف الجديدة – الرباط.
١٥-	ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي– دار المعارف– القاهرة.
١٦-	جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب د/ ماهر مهدي هلال، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م – دار رشيد للنشر، سلسلة دراسات.
١٧-	الحاشية على المطول شرح تلخيص المفتاح للسيد الشريف الجرجاني قرأه وعلق عليه د/ رشيد رضا – دار الكتب – بيروت – لبنان طـ١ ٢٠٠٧م.
١٨-	الحركة الأسلوبية د/ عبدالرازق فضل – مطبعة التركي.
١٩-	حروف المعاني والصفات لعبدالرحمن اسحاق الزجاجي – ت/علي توفيق الحمد طـ١ – مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٠-	خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبه – الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

م	المصدر أو المرجع
٢١-	خلاصة المعاني للحسن بن عثمان المفتي- ت أ.د/ عبدالقادر حسين الناشرون العرب.
٢٢-	دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ت/ محمود محمد شاكر ط٣-١٤١٣هـ-١٩٩٢م نشر مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة.
٢٣-	ديوان النابغة ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة. دار المعارف.
٢٤-	الرابط وأثره في التراكيب العربية د/حمزة عبدالله النشرتي- نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٥-	الرسائل السياسية لعمرو بن بحر بن محبوب بن فزازة الليثي البصري الكنائي أبو عثمان الشهير بالجاحظ - نشر مكتبة الهلال – بيروت.
٢٦-	سير أعلام النبلاء للذهبي- ت/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – نشر مؤسسة الرسالة – ط٣ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٢٧-	شرح تسهيل الفوائد لمحمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبدالله جمال الدين، ت/ عبدالرحمن السيد، ود/محمد بدوي المختون نشر هجر للطباعة والتوزيع والإعلان.
٢٨-	شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح الفوائد لمحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش، ط١، ١٤٢٨هـ.
٢٩-	عناصر الإبداع الفني في نكبة دمشق لأحمد شوقي د/ عبد الحافظ عبد المنصف- مكتبة الآداب.

م	المصدر أو المرجع
٣٠-	الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ت/ محمد إبراهيم سليم – نشر دار العلم والثقافة والتوزيع– القاهرة.
٣١-	فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ت/إحسان عباس ط١– ١٩٧١م
٣٢-	الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزيه – مكتبة المتنبي.
٣٣-	قراءة جديدة في نقد الشعر لقدامة بن جعفر د/ عبدالحليم محمد شادي طبعة ١٩٩٧م.
٣٤-	الكشاف للزمخشري – ط١ ١٤١٥هـ–١٩٩٥م رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان.
٣٥-	لسان العرب لابن منظور دار الحديث ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.
٣٦-	لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ت/دائرة المعرفة النظامية ، ط٢ ، ١٩٧١م – ١٣٩٠هـ.
٣٧-	مباحث في وجوه تحسين الكلام أ.د / رفعت السوداني مطبعة الأمانة ط١/ ١٤١١هـ– ١٩٩١م.
٣٨-	مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي باب العين مادة عمرى دار الحديث ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.
٣٩-	المخصص لابن سيده–دار إحياء التراث – بيروت – ط١ ١٤١٧هـ.
٤٠-	المعاني في ضوء أساليب القرآن د/عبدالفتاح لاشين– ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م – دار الفكر.
٤١-	معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ت/إحسان عباس– دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١– ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

م	المصدر أو المرجع
٤٢–	معجم مقاييس اللغة لابن فارس – دار الفكر – بيروت – لبنان.
٤٣–	معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٥٧م– نشر مكتبة المتنبي.
٤٤–	مفتاح العلوم للسكاكي– ت.د/ عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٤٥–	من أسرار البلاغة بالحروف المشبهة بالفعل (وإن وأخواتها) في القرآن الكريم د/ هاشم محمد هاشم – ط١ – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٤٦–	ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ت/ محمد علي البيجاوي – ط١ ، ١٣٨٢هـ– ١٩٦٣م– دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.
٤٧–	نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف/شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري–ت د/حسن نور الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٤٨–	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، دار صادر– بيروت.
الدوريات:	
٤٩–	أراك عصي الدمع لأبي فراس الحمداني دراسة بلاغية نقدية د/ صلاح
٥٠–	حبيب سليمان – مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد ٣١– الجزء٤.
٥١–	تجليات الجمال في أسلوب القصر د/ عبدالرحيم محمد الهبيل، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية – المجلد التاسع عشر، العدد الثاني يونيو ٢٠٠١م.

م	المصدر أو المرجع
الرسائل العلمية:	
٥٢-	الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي لناصر دخيل فالح السعيدي، رسالة دكتوراه إشراف د/ محمد إبراهيم شادي – جامعة أم القرى.
٥٣-	الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام- مقاربة تداولية – رسالة ماجستير، إعداد بو صلاح فايزة إشراف د/ بن عيسى عبد الحليم ، أ. د عزوز أحمد ٢٠٠٩م-٢٠١٠م.
٥٤-	الإقناع الأدبي والبلاغي والإشهاري لمحمد البوزيدي، مقالة.

* * * * * *

فهرس الموضوعات

م	العنوان	الصفحة
١	المقدمة	٦٧٤
٢	التمهيد: تعريف الإقناع والإمتاع.	٦٧٩
٣	ارتباط البلاغة بالإقناع والإمتاع	٦٨١
٤	الفنون البلاغية التي يغلب عليها طابع الإقناع والإمتاع	٦٨٢
٥	نبذة عن الجاحظ	٦٨٥
٦	نشأته وحياته	٦٨٥
٧	شيوخه	٦٨٦
٨	مؤلفاته	٦٨٧
٩	ملامح شخصيته	٦٨٨
١٠	وفاته	٦٨٩
١١	نص رسالة الصداقة	٦٩٠
١٢	شرح موجز لرسالة الصداقة	٦٩١
١٣	المبحث الأول: التحليل البلاغي لرسالة الصداقة	٦٩٢
١٤	الفكرة الأولى: الدعوة للاستئثار بالصديق الصدوق	٦٩٢
١٥	الفكرة الثانية: الدعوة للاستكثار من الأصدقاء	٧١٤
١٦	الفكرة الثالثة: توجيه الجاحظ إلى اختيار أصدقاء تتوافر فيهم صفات معينة	٧١٥
١٧	المبحث الثاني: سمات وخصائص بلاغة الجاحظ في رسالة الصداقة	٧١٨
١٨	الخاتمة	٧٢٣
١٩	فهرس المصادر والمراجع	٧٢٥
٢٠	فهرس الموضوعات	٧٣١